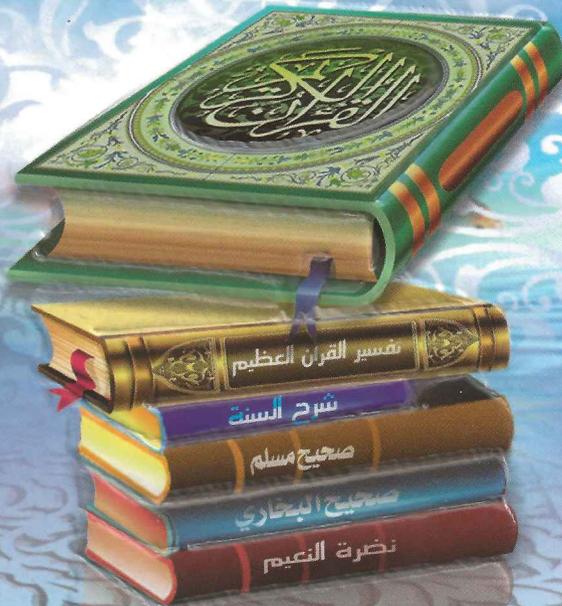


البُعدُ الأولُ المشيخية

وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية

د. س. الأمل الأول الفتح البياضي



البداية المشرقة

وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية

د. بسام محمد أبو الفتوح السيد الفوني



تقديم سعادة الدكتور

عادل عبد الله الفلاح

اللهم لك الحمد في الأولى والآخرة والبدء والختام، صل وسلم على عبدك ونيبك وحبيبك محمد خاتم الأنبياء وسيد الأنام، وعلى آله الطاهرين الكرام، وأصحابه الطيبين العظام، وبعد:

فلطالما شد انتباه الباحث المنقّب في دين الله الحنيف كمال التشريع الرباني من كافة وجوهه، من حيث الشمول والعموم والإنسانية والمنطقية والتجديد والثبات والالتزام والاستفادة من تجارب الآخرين.

ومن وجوه كمال التشريع الرباني فتح الأبواب المباحة على مصاريعها، وإبرازها بكل جلاء أمام المكلف الذي وجّه إليه خطاب الشارع بالمنهي والمنع في أمور اقتضت حكمة التشريع ومصلحة الإنسان المنع منها والزجر عنها... ودعت الرحمة الربانية وضرورات الحياة البشرية إلى إباحة البدائل من نفس جنس المنهي عنه.

وأصل تلك القاعدة التشريعية قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢)، وتطبيقاتها كثيرة متنوعة.

وإن الفقيه المستبصر في شرع الله يعلم كل العلم أن البدائل المتاحة أكثر بكثير من الأشياء المحرمة، فإذا حرم الله أمراً فإنه يكون محددًا معلوماً

(١) سورة الأعراف، آية رقم (١٥٧).

(٢) سورة البقرة، آية رقم (٢٧٥).

محصورا، فإذا عقب عليه بما أباح وأحل جعل ذلك واسعا مطلقا، وانظر مثلا قوله تعالى عندما عدد محرمات النساء: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ...﴾^(١) فإنه قال بعد ذلك: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾^(٢).

كما أن الفقيه المستبصر يعلم علم اليقين: أن الجرأة على الله في تحليل ما حرم وارتكاب ما نهى عنه والانغماس في الموبقات الممنوعة، لا يقل عنه خطرا ولا إصرارا ولا مسؤولية تحريم الحلال البديل عن الحرام، والتوسع في المنوعات التي لم يمنع عنها الله ولا نهى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾^(٣).

وأهمية ترضيح هذه القاعدة وتجليتها وإبراز محاسن الإسلام فيها تنبع من الحاجة الماسة إلى الرد على من زعم - زورا وبهتانا - أن الإسلام دين المنوعات والمحظورات، وأنه خطاب التقييد والتكبير، وأنه يحد من حرية الإنسان واختياره المطلق.

وهذا الادعاء الباطل والبهتان الزور يجد له تجاوبا وصدى في نفوس الجاهلين بالتشريع الإسلامي ووثائقه وقواعده وحقائقه.

وبند . . .

فلقد قام ابن شيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني - أمد الله في عمره - ، الأخ الحبيب الدكتور: سالم البيانوني، الباحث الشاب

(١) سورة النساء، آية رقم (٢٣).

(٢) سورة النساء، آية رقم (٢٤).

(٣) سورة التحريم، آية رقم (١).

الطلعة، بالتفرغ لدراسة البدائل المشروعة النافعة التي طرحها المشرع الحكيم بديلا عما حرمه من أمور تضر بالفرد والمجتمع .

فكان ثمرة جهده بحق بحثا جديدا فريدا جديرا بالاهتمام، وهو في أصله بحث أعده الكاتب لنيل درجة الدكتوراه، حيث ساهمت بالإشراف على بحثه، وقد نال تلك الرتبة بدرجة امتياز ولله الحمد والمنة .

وختاماً أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينور بهذا البحث بصائر المهتمين، وأن يثبت كاتبه، ويسدد خطاه وقلمه لإثراء المكتبة الإسلامية بمزيد من الدراسات الجادة الهادفة .

والله ولي التوفيق ، ، ،

د . عادل الفلاح

وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت

كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فمن فضل الله وكرمه عليّ أن أعاني على دراسة وبحث موضوع البدائل
المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية ، الذي غابت آثاره العملية عن
المجتمعات الإسلامية ، جرّاء التقصير في استخدام هذا الأسلوب الدعوي ، أو
التهاون به .

وقد حظي البحث باهتمام من قبل الدعاة والعلماء والمفكرين ، الذين
تابعوا مراحل إعدادة ، أشرفوا على إخراجه ، وفي مقدمتهم فضيلة الوالد
الدكتور : محمد أبو الفتح البيانوني^(١) - حفظه الله تعالى - ، وفضيلة
الدكتور : عادل الفلاح^(٢) - حفظه الله تعالى - ، وفضيلة الأستاذ الدكتور :
محمد عثمان صالح^(٣) - حفظه الله تعالى - .

وقد كان هذا الموضوع في أصله أطروحة قدمتها لنيل درجة الدكتوراه ،
في تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية ، حصلت من خلاله على تقدير (ممتاز)
بفضل الله ومنته .

واعتبر إضافة علمية إلى مكتبة الدعوة الإسلامية ، إذ لم يتطرق إلى بحث
هذا الموضوع الدعوي أحد من قبل - على حد علمي - . كما رأيت تشجيعاً من

(١) أستاذ مشارك في كلية الشريعة بجامعة الكويت .

(٢) وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت .

(٣) مدير جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان .

الدعاة لطباعته ونشره في الساحة الدعوية، فقامت بتعديله وإضافة عليه والحذف منه، حتى خرج بهذه الصورة التي بين أيديكم.
وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخراً لي يوم الدين، وأن يجزي عني خيراً كل الدعاة المخلصين والعلماء العاملين.

سالم البياونى

١٠/٨/١٤٢٥هـ - ١٩/١١/٢٠٠٤م

الكويت

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١)، والقائل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» (٣).

ورضى الله عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، الذين سلكوا نهج الرسول الكريم وساروا على هديه إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا بحث يتناول موضوعه جانباً من جوانب علم الدعوة الإسلامية، وهو مشروعية إيجاد البدائل المناسبة والصالحة للتطبيق، وأهمية ذلك في نجاح الدعوة الإسلامية، وعلاقته بفقهاء التغيير والإصلاح.

إذ لا يقتصر علم الدعوة الإسلامية على مفهوم النصيح والوعظ والإرشاد، والحديث عن الفضائل والآداب فحسب، بل هو علم له مناهجه ومبادئه وأساليبه ووسائله، لذا أردت إبراز أسلوب من الأساليب الدعوية التي قلَّ اهتمام الدعوة به في عصرنا الحاضر، مع الحاجة الملحة إليه.

(١) سورة هود، آية رقم (١١٧)

(٢) سورة يونس، آية رقم (١٤).

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم (١٦٩١).

فقد أرشدنا منهج القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذا الأسلوب القويم ، الذي تحدثت عنه مضامين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وجسدته سيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم - .

فلم يكن منهج القرآن الكريم في التغيير هو المنع من المنهي عنه وسد الطريق على الناس تجاهه ، بقدر ما كان تشريع أمر بديل صالح يغيثهم عما نهوا عنه .

فلم يكتف الشارح الحكيم بتحريم الخبائث بل أحل لهم الطيبات ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) ، فحرم - سبحانه وتعالى - الربا وأباح البيع ، وحرم الزنى ورغب في الزواج وأجاز التمتع بملك اليمين ، ونهى عن السرقة وأوجب الزكاة وشرع ما يسد حاجة الفقير ، وهكذا في معظم التشريعات الربانية ، إضافة إلى أن هذه النواهي لم تأت جملة واحدة بل كانت على مراحل وتدرج ينسجم مع الطبيعة البشرية وضعفها .

ويأتي منهج الرسول ﷺ العملي مطابقاً لما سار عليه الشارح في كتابه العزيز ، فقد كانت بعثته - عليه الصلاة والسلام - في أصلها خطوة عملية لإيجاد البدائل الصالحة لما كان منتشرأ قبل البعثة من مفاسد ، والتي كانت سبباً في تغيير كثير من المفاهيم المنتشرة آنذاك ، فأوجد - عليه الصلاة والسلام -

(١) سورة الأعراف ، آية رقم (١٥٧) .

مجتمعاً بديلاً عن مجتمع الجاهلية الأولى الذي كان منهج حياته يقوم على عبادة الأحجار والأشجار والتفاخر بالأحساب، الأنساب واعتداء القوي على الضعيف، فأوجد مجتمعاً أساسه عبادة الله وحده، قائماً على الأخوة والعدل وال...إلخ، جاعلاً معيار التفاضل والتفاخر فيه على أساس التقوى.

فإنه بهذا الأسلوب الحكيم الذي زرعه في قلوب أصحابه - رضوان الله عليهم - هياهم إلى قبول التشريعات الربانية وسماع التعاليم الإسلامية وغير منهج حياتهم تغييراً كاملاً.

وبعد أن قام بمهمته في مكة المكرمة فأوجد المجتمع البديل الصالح فيها، انتقل إلى إيجاد الدولة المسلمة البديلة في المدينة المنورة، التي امتازت بقيامها على العدل والمساواة، حتى صارت مثلاً نموذجياً يضاهي الدول الكبرى القائمة في ذلك العصر، بل يمتاز عليها.

ومن خلال هذه الدولة وتلك التنظيمات والتشريعات ظهرت حضارة جديدة تتفوق عما سبقها من حضارات، وتشع بنورها عبر الأزمان، وتتضح معالمها ويمتد خيرها يوماً بعد يوم.

واستمر الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - من بعده على هذا الأسلوب القويم، الذي رباهم عليه الداعية الأول - عليه الصلاة والسلام - ، فقاموا بأمر الدعوة حق القيام مراعين في ذلك واقعهم وأوضاعهم والظروف المحيطة بهم، فنشروا الإسلام في أنحاء المعمورة.

ومع اهتمام الداعية الأول - عليه الصلاة والسلام - وخلفائه الراشدين - رضوان الله عليهم - بهذا الأسلوب الحكيم، فإنك ترى في مسيرة الدعوة

الإسلامية المعاصرة - من الناحية النظرية والعملية - قلة تهتم بإيجاد البدائل المناسبة لهذا العصر ، وتعويض الناس عن المحرمات المنتشرة بينهم . وترى جموداً من البعض على مناهج وأساليب ووسائل السابقين ، ووقوفاً عند ممارساتهم الدعوية ، والذي أدى بصورة غير مباشرة إلى نوع من الخمول الدعوي - إن صح التعبير - وغياب الآثار المرجوة عن كثير من المشروعات الدعوية القائمة .

ولعل ذلك يعود إما إلى عدم التفريق بين الثوابت والمتغيرات في الدعوة الإسلامية ومعاملة المتغيرات معاملة الثوابت لدى بعض الدعاة من جهة ، أو يعود إلى عدم الشعور بأهمية هذا الأسلوب وضرورته ، والوقوف على أثره في العمل الدعوي من جهة أخرى .

في الوقت الذي ترى فيه اهتماماً من غير المسلمين بإيجاد مناهج وأساليب ووسائل جديدة قائمة على دراسة متأنية وواعية تتناسب وظروف المجتمع المعاصر ، وتلبي احتياجات مجتمعاتهم ، وتسير بها إلى الأمام سابقة بذلك المجتمعات الإسلامية بمسافات شاسعة!! .

ولا يقتصر إيجاد البدائل على السعي لإغناء الناس عن الأمور المحرمة فقط ، بل يشمل أيضاً السعي على إيجاد الأمور الواجبة المفقودة ، التي أغفلها المسلمون على مرّ العصور ، فغابت - على سبيل المثال - عن الساحة الدعوية الوحدة والتعاون بين المسلمين ، وانتشرت الفردية في مختلف النشاطات والأعمال الدعوية ، والنزاعات والاختلافات ، فكان من واجب المسلمين بذل ما بوسعهم لإيجاد الوحدة المفقودة ، بالتقريب بين وجهات النظر ، وبث روح التعاون بين الحركات الإسلامية .

إن مشروع إيجاد البدائل المناسبة والصالحة للتطبيق في هذا العصر ليس بتلك السهولة التي يظنها بعضهم ، وإنما هو بحاجة إلى دعاء من أصحاب القلوب المؤمنة والعقول النيرة المتوازنة ، والواعية بواقع أمتها ، كما هو بحاجة إلى نفوس واثقة بنصر الله قادرة على خوض هذه التجارب ، قائمة على دراسة متأنية دقيقة جماعية للوصول إلى البدائل المرضية .

فليست الانفعالات العاطفية ولا المواعظ المؤثرة وحدها قادرة على التغيير الصحيح وإيجاد البدائل المناسبة ما لم يكن هناك تخطيط ودراسة من أهل الاختصاص . .

إن رجال الدعوة اليوم ليسوا مطالبين بوعظ الناس وإرشادهم ومنعهم من المحرمات المنتشرة في كل مكان ، بقدر ما هم مطالبون بإيجاد البدائل التي تغني الناس عن تلك الأمور المحرمة ، وتصرفهم عنها ، وتعوضهم عما قد يرونه في تلك المحرمات والمنهيات من أمور إيجابية وحلول عملية .

ومن هنا اخترت دراسة هذا الموضوع للتأكيد على أهمية إيجاد البدائل الدعوية في هذا العصر ، ولبيان آثارها الدعوية ، وتوضيح بعض سلبيات إغفال أسلوب طرح البديل أو ضعفه ، وتبيين بعض الآثار الإيجابية المترتبة على الاهتمام به ، محاولاً بيان بعض معالم وضوابط أسلوب طرح البديل الصالح في الدعوة إلى الله عز وجل .

ويمكن إجمال أهمية الموضوع وأسباب اختياره في النقاط التالية :

١- إن أسلوب إيجاد البديل المناسب في عملية التغيير والإصلاح هو في أساسه منهج رباني ، وأسلوب نبوي من الضروري الإفادة منه في الدعوة إلى الله .

٢- قلة من تطرق إلى هذه الموضوعات في الكتابات الدعوية.

٣- تجاهل كثير من أبناء الدعوة الإسلامية لأهمية هذا الأسلوب، وعدم استخدامه الاستخدام المناسب، مكتفين بالأمر والنهي، والوعظ والإرشاد!!.

٤- حاجة علم الدعوة إلى دراسة هذا الموضوع، ونشره في أوساط أبناء الدعوة الإسلامية، لاعتماده أسلوباً من أساليب الدعوة في سبيل التغيير والإصلاح.

والله الموفق والمسدد والمعين

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

١- الإصلاح الاجتماعي:

عناصره، عوامله، معالمه، معوقاته.

٢- بيان بعض مصطلحات البحث:

البديل، الإصلاح، التدرج، التغيير.

الإصلاح الاجتماعي
عناصره، عوامله، معالجه، معوقاته

عناصر الإصلاح الاجتماعي

١- الإرادة.

٢- القدرة.

عناصر الإصلاح الاجتماعي

لما كان إيجاد البديل الصالح خطوة في إصلاح المجتمعات ، وركيزة أساسية من ركائزه ، كان لا بد للباحث أن يتعرض لموضوع الإصلاح الاجتماعي ، ليمهد بذلك الحديث عن موضوعه الأساس ، فلا يتصور قيام عملية إصلاحية بدون اعتمادها لأسلوب إيجاد البدائل الصالحة وجعله من أساليبها الرئيسة ، لتتمكن من الوصول إلى هدفها ، وقبول الناس لدعوتها بإغنائهم عن المحرمات المنتشرة في أوساط الناس ببدائل مرضية تصرف الناس عن تلك الأمور المنوعة ، وتعوضهم عنها بالمباحات ، وبذلك تستطيع أن تغير حال مجتمعها إلى أحسن حال .

ولا يخفى على أحد ما آل إليه وضع الأمة الإسلامية اليوم ، وما اعتراها من أمراض وفتن ، وخلافات ونكبات ومحن ، وما ضاع من كنوزها وثوراتها وتراثها ، كل ذلك أدى إلى ضعف في مجتمعاتها ، وتحلل كثير من القيم الإسلامية من نفوس أبنائها ، وانتشار المحرمات فيها على مختلف المجالات .

ولست بصدد وصف الضعف الذي آلت إليه أمتنا الإسلامية ، وبيان أسبابه الداخلية والخارجية ، فهذا غني عن الوصف ، إنما الأهم هو بيان كيفية الخروج من هذا الواقع المؤلم ، وتوضيح الخطوات التي يجب أن نسلكها لإنقاذ أمتنا المسلمة من الضعف والانهيار .

إن موضوع الإصلاح والتغيير أمر ليس باليسير ، إذ هو عمل الأنبياء والمرسلين ، وهم الدعاة المصلحين ، فهو يقوم على تغيير الأفكار والمعتقدات والسلوك والعادات ، لا على تغيير الأسماء والمسميات والشعارات ، إنه قائم على تغيير البنية الأساسية في الإنسان وتوجيهه التوجيه السليم ، وزرع القيم

والصفات الحميدة، وإبراز قيمة الإنسان في هذا الكون ووضعه في المكان اللائق به .

يقول سبحانه على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . (١)

جاء في تفسير الطبري : ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ﴾ يقول : « ما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم .

﴿ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ يقول : ما قدرت على إصلاحه لئلا ينالكم من الله عقوبة منكرة ، بخلافكم أمره ومعصيتكم رسوله .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ يقول : وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك إن لا يعنني عليه لم أصب الحق فيه .

وقوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ يقول : إلى الله أفوض أمري ، فإنه ثقتي وعليه اعتمادي في أموري .

وقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ وإليه أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة» (٢)

ولعل هذه الآية تؤكد على العوامل الأساسية في العملية الإصلاحية ، وهي الإرادة ، والقدرة ، كما أنها توضح أسباب نجاح العملية الإصلاحية ،

(١) سورة هود، آية رقم (٨٨) .

(٢) تفسير الطبري ، ص ٤٣٣ ، مجلد ١٥ .

والتي لا بدّ أن يتحقق فيها التوكل على الله والاعتماد عليه وإخلاص العمل له ، ومحاسبة النفس ومراجعة أعمالها وتقويمها .

والإصلاح أمر رباني ، وواجب شرعي ، وسنة كونية يدفع الله بها العذاب عن مجتمع المصلحين ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١)

وقد أوضح القرآن الكريم أن الإصلاح المقتصر على الذات لا يقدم ولا يؤخر في العملية الإصلاحية شيئاً ، ولا يمنع وقوع العقاب الإلهي ، فعندما سئل عليه الصلاة والسلام : «أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ» (٢)

وقد خصَّ الله سبحانه وتعالى المسلم بالكرامة والعزة فمن طبيعته أن لا يرضى بالذل والمهانة والاحتقار ، فهو مكرم من عند رب العالمين ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٣) ، وقال أيضاً : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤)

ولذلك كان على المسلم أن يسعى لتحقيق تلك المكانة التي منحها الله له ، ولا يكون تحقيق هذه المكانة السامية بين المجتمعات إلا باتباع السنن الكونية التي وضعها الخالق سبحانه لإصلاح البشرية جمعاء ، فهو سبحانه : ﴿لَا يُغَيِّرُ

(١) سورة هود، آية رقم (١١٧).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، رقم (٣٠٩٧).

(٣) سورة الإسراء ، آية رقم (٧٠).

(٤) سورة المنافقون ، آية رقم (٨).

مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١﴾، فلا نتظر تغييراً في واقعنا إذا لم يسبقه تغيير في أنفسنا، فهذه سنة من سننه سبحانه لم ولن تتخلف على مرّ العصور والأزمان، فعلى المسلم أن يعي تلك السنن، ويدرسها دراسة متأنية، ليستفيد منها في واقع حياته، فقد لفت الله سبحانه وتعالى أنظارنا إلى العديد من السنن الكونية ووجهنا للنظر فيها والاعتبار بها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣)

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٤)

وغيرها من الآيات الكثيرة التي توجهنا إلى النظر في (الكيف)، واستخراج ما يفيدنا في مجالات الحياة المتنوعة.

وبهذا يتبين أن السبيل الوحيد لإصلاح المجتمع بعد الاستفادة من تلك السنن هو العمل على التغيير والإصلاح.

وإن أي عمل يقوم به الإنسان لا بد أن يتوفر فيه عنصران أساسيان، لا يتم العمل بفقدتهما أو يفقد أحدهما، وهما: الإرادة، والقدرة.

(١) سورة الرعد، آية رقم (١١).

(٢) سورة غافر، آية رقم (٨٢).

(٣) سورة العنكبوت، آية رقم (٢٠).

(٤) سورة الغاشية، آية رقم (١٧).

فلا يتصور عقلاً قيام أي عمل من الأعمال بدون هذين العنصرين ، فمن خلال حياتنا اليومية وأثناء قيامنا بأي عمل نرى أن الإرادة قد تحققت أولاً لتحثنا وتبعثنا على الفعل ، ومن ثم وجود القدرة لإنجاز هذا العمل .

وهذه الإرادة تتولد - كما يذكر الأستاذ جودت سعيد - من زوجين «وهما المثل الأعلى ، وعقل الإنسان أو جهاز تمييزه ، فإذا التقى المثل الأعلى بجهاز التمييز مع استيفاء شروطه وانتفاء موانعه تولدت الإرادة بإذن الله»^(١) فكلما كانت الإرادة صادقة مخلصه ، والعقل سليماً وفطرياً - لم تؤثر فيه عوامل الإفساد - كان العمل ناجحاً وأدى ثماره المرجوة منه .

هذه الإرادة هي التي ينبغي على دعاة اليوم حثها وإيقاظها في نفوس أبناء الأمة الإسلامية ، وتوجيهها التوجيه السليم لتحقيق ما نصبوا إليه ، لتكون الخطوة الأولى في إصلاح مجتمعنا الإسلامي ، والوصول به إلى المستوى الأمثل ، فبغرس الإرادة الصافية وتعلقها بهدف سام نكون قد حققنا جزءاً من النجاح في عملية الإصلاح الاجتماعي .

وفقدان الإرادة لا يصح أن يتصف به المسلم أبداً ، لأنه من صفات الكافرين والمنافقين ، يقول سبحانه ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾^(٢) ، فلا يعذر مسلم بفقد إرادته إلا في حالة عدم حدوث اتصال بين العقل والمثل الأعلى ، «وبما أن المثل

(١) العمل قدرة وإرادة ، للأستاذ: جودت سعيد ، ص ٨٦ ، دار الثقافة للجميع ، دمشق ، ١٩٨٠ م .

(٢) سورة التوبة ، آية رقم (٤٦) .

الأعلى والعقل موجودان فينبغي أن نقوم بعملية الوصل ورفع الحاجز بين الزوجين اللذين يلدان الإرادة» (١)

وبالمقابل يعذر الله سبحانه من فقد القدرة على القيام بالفعل ، حيث يقول جل شأنه : ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) ، ويقول ﷺ : « إِنْ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبْسَهُمُ الْعُذْرُ » (٣)

فصاحب الإرادة الصادقة يحصل على أجر العمل إذا كانت قدرته لا تسمح له بإنجاز ذلك العمل ، ويتبين من ذلك أن القدرة قد يفقدها الإنسان العاقل القوي ، ويعذر إن أدى ما عليه لتحصيلها .

والقدرة التي نتحدث عنها على نوعين : مادية ، وعلمية ، وكلا النوعين مطلوبان في العملية الإصلاحية .

أما القدرة المادية : فالمجتمع الإسلامي يملك كمّاً هائلاً من مقومات هذه القدرة ، سواء من ناحية عدد المسلمين ، أو الثروات الموجودة لديه ، ولا ينقص المسلمين في هذا المجال شيء ، اللهم إلا توجيه تلك الأعداد ، والاستفادة من الثروات وتسخيرها لصالحه ، وهي ما يمكن أن نطلق عليه (القدرة العلمية) ، وهي القدرة على توجيه القدرة المادية ، وتسخيرها لصالح المجتمع ،

(١) العمل قدرة وإرادة ، ص ١٣٧

(٢) سورة التوبة ، آية رقم (٩١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من حبسه العذر عن الغزو ، رقم (٢٦٢٧) .

ومن الأهمية بمكان العناية بهذا الجانب - ولا سيما في الجيل الناشئ - ليتمكن من تسخير هذا الكون الذي خلق من أجله .

ولذلك يلاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يلفت أنظارنا إلى أهمية التعلم وتقوية القدرة العلمية من خلال التفكير في مخلوقاته ، وفي سننه الكونية .

والعالم الإسلامي اليوم بجميع فئاته رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، عاميين أو متعلمين ، يمتلكون القوة الإرادية المتوقدة ، التي تحتاج إلى توجيه من قادتهم ودعاتهم ، فصُورُ بذل النفس والمال في سبيل الله أضحت سمة من سمات مجتمعنا المعاصر .

كما يملك كما لا بأس به من القوة المادية التي تؤهله لأن يحرز الصدارة بين المجتمعات ، إذا ما توفرت الخبرات المتخصصة التي تعي واقع أمتها ، فتعرف كيف تغير وماذا تغير ، عند ذلك تكون قادرة - بعد عون الله تعالى - على تحقيق النجاح في عملية الإصلاح بشتى أشكاله ، إذ ليس بوسعنا إصلاح ما نريد إصلاحه إلا بامتلاك القدرة العلمية التي تدلنا على أسباب النجاح .

وهذا لا يتحقق إلا إذا اعترفنا بضعفنا في هذا الجانب ، واتهمنا قدراتنا العلمية عند فشلنا في المشروعات التي نقوم بها ، وقللنا من اتهام إرادتنا وإخلاصنا .

بعكس ما تعيشه الحركات الإسلامية اليوم من عزو الفشل إلى عدم الإخلاص ، أو تعترف بوجود الإخلاص وتعزو الفشل إلى أمر خارج عن إرادتها اقتضته حكمة الله سبحانه ، مغفلة جانب الضعف العلمي ، شاكية في أن النجاح نتيجة حتمية للسعي الصالح ، يقول الأستاذ جودت سعيد : « إن

اعتقاد المسلمين بأن النجاح ليس نتيجة حتمية للسعي الصالح هو من أشد المعوقات التي تمنع المسلمين من مراجعة أعمالهم ونقدها، لأنهم لا يفرضون فيها الخطأ بل يفرضون أنها كانت صائبة»^(١)

ولنعلم علم اليقين أن نجاحنا في دعوتنا لن يكون إلا ببذل الأسباب المادية والمعنوية، فانتصار النبي ﷺ على أعدائه، وإحرازه النجاح في عملية الإصلاح كان - بعد توفيق الله له - بسنن طبيعية بشرية، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٢)

(١) العمل قدرة وإرادة، ص ٩٢ .

(٢) سورة محمد، آية رقم (٤).

عوامل الإصلاح الاجتماعي

- ١ - الدعوة إلى الله بالبلاغ المبين .
- ٢ - تكوين القاعدة المؤمنة .
- ٣ - شمولية الإصلاح لجميع جوانب الحياة .
- ٤ - إيجاد اختصاصيين مسلمين يتولون القيادة .
- ٥ - المنهجية والتخطيط والمتابعة .

عوامل الإصلاح الاجتماعي

قبل بعثة النبي محمد ﷺ كان المجتمع الجاهلي قد وصل إلى مستوى متدنٍ في جميع جوانب الحياة، الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية والثقافية، وانقلبت لدى الناس المفاهيم، فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وشاع الظلم بشتى أنواعه، واستبيحت الدماء والأعراض، وعمّ الفساد، ولم يبق من آثار الهدى، ونور النبوة إلا بيوتات كان يشع منها بصيص من نور.

بعث النبي - عليه الصلاة والسلام - فرأى أمام عينيه مجتمعاً متردياً في جميع جوانبه، أناساً بلا إنسانية، عقولاً معطلة، قوياً مهذرة، عواطف خامدة، قلوباً كافرة، فنظر إليها بعين المصلح، وبقلب المشفق، وب عقل الحكيم، حيث عاش أحوالهم وتعرف على أوضاعهم فترة ليست باليسيرة. فبدأ - عليه الصلاة والسلام - أول مرحلة من مراحل الإصلاح وهي «مرحلة البناء والتكوين»، مستخدماً الدعوة إلى الله بالبلاغ المبين كعامل من عوامل الإصلاح، وهو أسلوب الأنبياء والمرسلين من قبله، وأتى الأمر الإلهي ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، فصعد على جبل الصفا ونادى بالناس: «يَا بني فهر يا بني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فجعّل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ف جاء أبو لهب وقريش فقال أ رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالروادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(٢)

(١) سورة المائدة، آية رقم (٦٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وأنذر عشيرتكم الأقربين، رقم (٤٣٩٧).

واستمر ﷺ بإبلاغ دعوته للناس ، وإيصالها إلى قلوبهم بأساليب ووسائل متنوعة ، لإصلاح ذلك المجتمع وتعديل مفاهيمه ، وتعرّض - عليه الصلاة والسلام - هو وأصحابه للإيذاء الشديد ، فلم يثن ذلك من عزيمتهم ، أو يضعف إرادتهم ، كما أغروه بالمنصب والمال والرياسة ، وأرسلوا عمه أبا طالب ليفاوضه في ذلك ، ولكنه ﷺ لم يلتفت لهذا واستمر في دعوته ، لأنه يعلم أن مهمته لن تتحقق إلا بصلاح المجتمع أولاً ، وقال قولته المشهورة : «يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» . (١)

ولذلك بذل جهده في تكوين القاعدة المؤمنة وهو العامل الثاني من عوامل الإصلاح ، حيث زرع في قلوبهم محبته - عليه الصلاة والسلام - بتعامله معهم والاطمئنان على أحوالهم ومساعدتهم بقدر ما يملك من قوة ، فتعلقت قلوبهم به ، وفدوه بأموالهم وأنفسهم ، وأصبح حبه - عليه الصلاة والسلام - يجري في دمائهم ، وهو بذلك قد أوجد لهم القائد البديل المتمثل في شخصه الكريم ﷺ بعد أن كانت قلوبهم في الجاهلية متعلقة بوجهائهم وزعمائهم ، فصار أمره مجاباً ، ونهيه مطاعاً .

وظل الرسول ﷺ واقفاً إلى جانبهم ، موجهاً لهم ، مغذياً لأرواحهم ، باعثاً الأمل في نفوسهم ، كابحاً لحماسهم واندفاعهم ، فلم يسمح لهم في هذه الفترة العصيبة بقتال أعدائهم ، مع ما لديهم من خبرة في فنونها ، إذ لا يريد - عليه الصلاة والسلام - لهذه الفئة المؤمنة أن تخسر واحداً منها ، فعودهم على الصبر وتحمل الأذى ، لأن نجاح تلك الفئة المؤمنة - مع قلة

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ص ٢٧٧ ، دار الفكر ، القاهرة .

عددها- لن يكون بمواجهة الأعداء وقتالهم ، فقتالهم في تلك الفترة خسارة مؤكدة وهلاك للمسلمين .

وهذا درس نبوي ، من الحري بنا أن نستفيد منه ونعي أبعاده ، بإصلاح المجتمعات ، والوصول إلى المقصود لا يبدأ بمواجهة الأعداء ، واستنفاد طاقات الأمة الإسلامية ، أو بإصلاح الدولة قبل الشعوب ، إذ يؤدي ذلك إلى نتائج عكسية ، وإلحاق الضرر بالعمل الدعوي .

ومع أن الطريق النبوي أطول زمنياً ، وأشق جهداً ، إلا أنه أقوى أثراً ، وأسلم نتيجة ، فكم خسرت الأمة نتيجة لحماس دعائها؟ وكم ضيعت بتهور شبابها؟ الذين لم يتبينوا نهج الرسول ﷺ وأسلوبه في الإصلاح .

وهذه آيات القرآن الكريم تبين لنا كيف عكف النبي ﷺ والرسول السابقون -عليهم الصلاة والسلام- سنين طويلة على إصلاح شعوبهم ، ليقموا مجتمعاً صالحاً للخلافة في الأرض .

فنوح -عليه السلام- مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يبني القاعدة الصالحة ، والفئة المؤمنة ، دون ملل أو سأم ، ولم يلجأ إلى مواجهتهم وقتالهم ، مع ما تعرض له من مضايقات وإساءات ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا..... قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿١﴾

وهذا نبينا محمد ﷺ ظل ثلاثة عشر عاماً يؤسس هذه اللبنة الصالحة

(١) سورة نوح ، الآيات (٥-٢١) .

والفئة المؤمنة، من خلال إبلاغ دعوته ونشرها بين الناس، إذ كان إنشاء تلك القاعدة همه الوحيد، مهما كلفه ذلك من متاعب، فلم يقبل عرض جبريل - عليه السلام - عندما كان عائداً من الطائف، بأن يطبق عليهم الأخشبين ليريه منهم ومن إيدائهم، بل قال: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» (١)

واستمر في مهمته الدعوية، حامياً ومدافعاً عن تلك الفئة المؤمنة التي لاقت أنواع العذاب، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، ليؤمنوا على أنفسهم وأعراضهم.

ومن عوامل الإصلاح أيضاً: عدم الاقتصار في الإصلاح على جزئيات معينة، بل لابد أن يكون إصلاحاً كاملاً وشاملاً لجميع جوانب الحياة، وذلك باقتلاع الباطل من جذوره، قبل معالجة نتائجه وظواهره، أو التعرض للجزئيات المتعلقة به.

فلا يصح أن يشغلنا حلّ الأمور الجزئية عن أمور كلية وأولويات من اللازم القيام بها، فنولي جلّ اهتمامنا تلك القضايا الفرعية، جاهلين أو متجاهلين الأمور الأساسية التي إن عملنا على إصلاحها صلحت بذلك الأمور الأخرى.

وهذا ما فعله الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - عندما بدؤوا باقتلاع العقائد الباطلة، والأخلاق السيئة، والعمل على تثبيت وحدانية الله، وبث روح الفضيلة في قلوب أقوامهم دون مساومة في هذا الجانب أو مجاملة.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٢٩٩٢).

فهذا رسولنا ﷺ يعلن بصراحة واضحة موقفه من معتقدات قومه وعباداتهم، فيقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١)

وهود - عليه السلام - يقول لقومه: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٢)

واستمر لوط - عليه السلام - يعالج الفطرة المتكسفة في قومه، فيقول لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (٣)

فلم تشغلهم الأمور الجزئية، والقضايا الجانبية، عن مهمتهم الأساسية، وهي إحقاق الحق وإبطال الباطل، فبدلوا عقائدهم الفاسدة بعقيدة صافية، وآلهتهم المتعددة بإله واحد مستحق للعبودية، وأخلاقهم السيئة بأخلاق حميدة.

فمن الخطأ أن ننشغل بإصلاح جانب عن جوانب أخرى، بل لا بد من النظر إلى جميع الجوانب العقدية والخلقية والاقتصادية والاجتماعية والدولية والسياسية، وغيرها.

وعليه فإن جميع المحاولات الإصلاحية في الفكر الإسلامي لا تكون موصلة للهدف المرجو منها إذا اقتصر مضمونها على جانب دون الجوانب

(١) سورة الكافرون.

(٢) سورة الشعراء، الآيات (١٢٨ - ١٣١).

(٣) سورة الشعراء، الآيات (١٦٥ - ١٦٦).

الأخرى، ولهذا يتوجب التعاون بين جميع الحركات والمؤسسات والجماعات لتحقيق هذا الغرض، وتلبية احتياجات العملية الإصلاحية، وذلك من خلال إيجاد مؤسسات تنفيذية، اقتصادية وصحية وتربوية وإعلامية وسياسية تعمل من خلالها مختلف الفرق والجماعات الإسلامية، فحجم العمل الملقى على عاتق الأمة الإسلامية أكبر من أن تقوم به جماعة بمفردها، يقول علاء النادي: «إن خفاء ثقل مهمة المشروع التغييرى تؤدي بالبعض إلى توهم إمكانية تحقيق الإنجاز منفرداً»^(١)

ومن هنا تبرز أهمية السعي على تحقيق وحدة العمل الإسلامى، وإزالة الخلافات الناشئة بين فصائل العمل الدعوى، ليكونوا صفواً واحداً يسعى لهدف واحد، لا أن تهدم جماعة ما تبنيه الأخرى.

ومن مستلزمات إنشاء مثل هذه المؤسسات، العمل على إيجاد اختصاصيين مسلمين يتولون قيادة تلك المؤسسات، إذ يعتبر هذا من أهم وسائل العملية الإصلاحية، فتزويد العمل الإسلامى بخبرات واعية متخصصة يضمن له النجاح والتوفيق - بإذن الله - .

والناظر في الساحة الإسلامية يجد أن الأمة الإسلامية تفتقد مثل تلك الكوادر، إما لهجرتهم وعدم وجودهم في بلادهم ومجتمعاتهم، أو لعدم وضعهم في أماكن التأثير اللائقة بهم، ومن واجب الأمة الإسلامية استقطاب أمثال هؤلاء، والاستفادة من خبراتهم، والاهتمام بالتعليم والتثقيف للجيل الناشئ وتوجيهه إلى التخصص، للحصول على خبرات راقية في مجالات متنوعة.

(١) مقال في مجلة المنار الجديد، للأستاذ: علاء النادي، ص ٧٦، العدد ١٨، عام ٢٠٠٢م.

ولم يغفل - عليه الصلاة والسلام - هذا الجانب ، فقد كان من بين الصحابة «سيف الله المسلول» الخبير بالأمور الحربية ، أمثال «خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، ومن بينهم القارئ ، أمثال «أبي بن كعب - رضي الله عنه - ، وأمير الأمة ، أمثال «أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - ، كما أرسل زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ليتعلم اللغة العبرية» .

إن العمل على تكوين هذه الطليعة واحتوائها أولوية من أولويات العمل الإصلاحي .

ومن عوامل الإصلاح أيضاً: المنهجية والتخطيط والمرحلية:

والمقصود بالمنهجية: هو السير على تعاليم الإسلام وهدى القرآن ، وجعلها نبراساً يضيء لنا الطريق ، والالتزام به وعدم الحياد عنه قيد شعرة ، مهما كانت الظروف ، وهذا ما سلكه الرسول ﷺ في مسيرة دعوته ممثلاً أمر ربه ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (١)

فلا حياد عن هذا المنهج الرباني الذي شرعه الله سبحانه وتعالى للبشرية كلها ، فهو شامل كامل صالح لكل زمان ومكان ، لا صلاح إلا بالتمسك به وتطبيقه في واقع الحياة ، يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٢)

(١) سورة المائدة، آية رقم (٤٩) .

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٩) .

والمراد بالتخطيط : دراسة الواقع وتحديد الوسائل المناسبة للوصول إلى الهدف المأمول، فلا مكان للعشوائية والارتجالية في العمل الدعوي والإصلاحي، بل لا بد أن يقوم على دراسة واعية بواقع الأمة ومستلزماتها على كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعلى كافة المستويات الفردية والجماعية والدولية .

والتأمل لسيرته ﷺ يرى أن دعوته في جميع مراحلها وخطواتها كانت وفق خطة مدروسة نفذها على أرض الواقع .

أما المقصود بالمرحلة في العمل الإصلاحي : فهو التدرج في التطبيق، ومراعاة واقع المجتمع الذي نسعى لإصلاحه، وهو سنة ربانية، إذ أن «ربوية الله للعالمين من صفاتها الالتزام بسنة التدرج في حالتي الإنشاء التصاعدي والتنكيس التنازلي . . . وكل تصارييف الله في ربوبيته تجري على وفق سنة التدرج ترقية أو تنكيساً، باستثناء المعجزات وخوارق العادات والكرامات» (١) فالإنسان يسير في عملية تدريجية تطويرية منذ صغره إلى أن يبلغ سن الرشد ومن ثم يتدرج في الضعف والفناء، وكذلك الأمر في الحيوان والنبات .

كما أنها منهج رباني في تشريع الأحكام، حيث نزل القرآن مفرقاً على حسب الحوادث والوقائع بل إن بعض المأمورات الشرعية فرضت على مراحل، كالجهد في سبيل الله .

وكذلك الأمر بالنسبة للمنهيات، كتحرير الخمر والربا، مراعاة لضعف

(١) الشريعة الإسلامية بين التدرج في التشريع والتدرج في التطبيق، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢٣-٢٥، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، سلسلة تهيئة الأجواء، رقم (١٥).

الطبيعة البشرية وقرب عهدهم بالجاهلية، تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها: « إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمَفْصَلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا» (١)

وإلى جانب المرحلية في التشريع نرى المرحلية في دعوته - عليه الصلاة والسلام - حيث كان يختلي في غار حراء للعبادة وتزكية النفس، ثم بدأ بدعوة عشيرته وقرابته، ثم دعوة أهل بلده من كفار قريش، ثم جهر بها للناس جميعاً، فكان من ثمار هذا الأسلوب ونتائجه، قبول الناس لدعوته، ودخولهم في الإسلام، وتنفيذ تعاليمه وشرائعه.

إن اندفاع شباب اليوم لتطبيق أحكام الإسلام جملة واحدة، دون مراعاة لأوضاع شعوبهم، ودراسة لواقعهم، من أهم أسباب الفشل التي منيت به بعض الأعمال الدعوية الإصلاحية.

فقد روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في حوارهِ مع ابنه عندما استنكر على والده السكوت عن بعض المنكرات، قائلاً بحماسة الشباب: «يا أبتِ، مالك لا تنفذ الأمور؟ والله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق، فأجابه بوعى وحكمة القائد: «لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدعونه جملة، ويكون من ذا فتنة» (٢).

فما أحوج العمل الدعوي اليوم إلى حكمة الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (٤٦٠٩).

(٢) انظر المواقفات للشاطبي، ج ٢، ص ٩٣ - ٩٤، دار الفكر.

معالم الإصلاح الاجتماعي

- ١ - معرفة قيمة العلم ، والتوجه إلى الاستفادة من السنن الكونية .
- ٢ - تعميق الشعور بمراقبة الله تعالى والخوف منه .
- ٣ - العزوف عن زخارف الدنيا ومظاهرها .
- ٤ - بث روح الشجاعة والإقدام في نفوس أبناء الأمة الإسلامية .
- ٥ - تقوية المحبة في نفوس أبناء المجتمع لقادتهم .
- ٦ - انتشار التعاون بين المسلمين على الحق .

معالم الإصلاح الاجتماعي

إن الإصلاح المتبع للمنهج الرباني، لا بد له من إعطاء ثمار يانعة ونتائج مرضية، وإن لهذا الإصلاح معالم أساسية لا بد من الوقوف عليها، والاستئثار بها، ومن أبرز هذه المعالم:

١- معرفة قيمة العلم، والتوجه إلى الاستفادة من السنن الكونية وتسخيرها لخدمة الإنسان: فبعد أن تمتلئ قلوب الناس إيماناً، ونفوسهم يقيناً، وبصيرتهم نوراً، يتبين لهم الغاية من خلقهم، وما كلفوا به، فيسعون إلى عمارة الأرض والاستفادة من خيراتها التي منحهم الله إياها، على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

وقد اهتم النبي ﷺ بتعليم صحابته وتوعيتهم وتشجيعهم على طلب العلم، فقد قال - عليه الصلاة والسلام - : «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّهِ وَأَفْرٍ» (١)

كما طلب من بعض الأسرى أن يعلموا أولاد الصحابة مقابل حريتهم، وآيات القرآن الكريم مليئة بالحديث عن شرف العلم والعلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢)

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٠٦).

(٢) سورة فاطر، آية رقم (٢٨).

إن توجه المجتمعات الصالحة إلى العلم والاهتمام به، يضمن لها مكانة بين المجتمعات الأخرى، وثباتاً واستمرارية أمام المغريات والمعوقات، إذ بالتعلم يتعرف أفراد المجتمع على واقعهم والمستجدات التي تحدث في عصرهم.

٢- الشعور بمراقبة الله تعالى والخوف منه : وهو معلم بارز في المجتمعات الإيمانية الصادقة، فتتمية الوازع الديني في قلوب الناس ضمان من الفساد والانحلال، إذ يستشعر الفرد المسلم بمراقبة الله سبحانه له في كل صغيرة وكبيرة، فتراه ما إن يرتكب خطأً أو يقع في منكر، إلا ويقف الضمير مؤنباً ولائماً له على فعلته.

وقد ربى القرآن الكريم أبناءه على مراقبة الله - عز وجل - في السر والعلن والخوف من عقابه، فهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١).

كما قام - عليه الصلاة والسلام - بتنمية هذا الوازع في نفوسهم، فقال : «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢)، ولذلك سمعنا قصصاً لا نظير لها عن أولئك الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين لم يرض ضميرهم بما اقترفوا، ولم تقبل نفوسهم السكوت على ما فعلوا، حيث كان بوسعهم أن يتوبوا ويستغفروا ربهم، ولكن خشية الله استولت على مشاعرهم وجوارحهم، كقصة معاذ، والغامدية - رضي الله عنهما - فقد روى عبدالله بن بريدة عن أبيه، أن معاذاً الأسلمي أتى رسول الله

(١) سورة غافر، آية رقم (١٩).

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس، رقم (١٩١٠)، وقال

عنه : حديث حسن صحيح .

ﷺ فقال: « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي ، فَرَدَّهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بِأَسَا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَقَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِي الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَ فِيمَا نُرَى ، فَأَتَاهُ الثَّلَاثَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرَجَمَ ، قَالَ : فَجَاءَتِ الْغَامِذِيَّةُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهَّرَنِي ، وَإِنَّهُ رَدَّهَا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدَّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَا ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِحُبْلَى ، قَالَ : إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي ، فَلَمَّا وُلِدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ قَالَتْ : هَذَا قَدْ وُلِدَتْهُ ، قَالَ : اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَقَالَتْ : هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحَفَرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا ، فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا ، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ : مَهْلًا يَا خَالِدُ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدَفِنَتْ » . (١)

٣- العزوف عن زخارف الدنيا ومظاهرها ، والترفع عن سفاسف الأمور ومحقراتها ، وتجنب ما يشين النفس البشرية : فلقد علم النبي ﷺ صحابته الكرام- رضوان الله عليهم- أن الدنيا دار عمل ، وهي كظل شجرة يرتاح فيها المسافر قليلاً ثم يرحل عنها ، وأنها دار عمل وكسب لرضى رب العالمين ، وأن دار الخلود والنعيم هي الدار الآخرة ، فلم تكن الدنيا يوماً من الأيام بغيتهم ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى ، رقم (٣٢٠٨) .

ولم تستهوَ وقتاً من الأوقات قلوبهم، إذ كيف يتعلقون بها وهي سجن المؤمن، فقد قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». (١)

لقد كانت عزتهم وسعادتهم في رضَى رب العالمين، وتطبيق أحكامه وتعاليمه، لم تشغلهم زخارف الدنيا ومفاتها عن هدفهم الذي يسعون له، فعندما دخل ربي بن عامر - رضي الله عنه - على رستم، كانوا قد «زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللالى الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاج، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربي بثياب صفيقة، وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط . . . فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم، فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . . .» (٢)

لقد تيقنوا حق اليقين أنهم ماضون إلى ربهم، ينتظرهم الغد باسم والنعيم الدائم، إن هم أقاموا شرع الله في أنفسهم وأهليهم، فأثروا الحياة الباقية على الفانية، والنعيم الدائم على الزائل، فاستحقوا بذلك كرم الله وإحسانه.

٤- بث روح الشجاعة والإقدام في نفوس أبناء الأمة الإسلامية: فالبعد عن زخارف الدنيا وزينتها، والإيمان بالله سبحانه وباليوم الآخر وما أعده الله

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، رقم (٥٢٥٦).

(٢) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ج٧، ص٤٤، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،

للمؤمنين المتقين، وما هياؤه لهم من ألوان النعيم، بعث في نفوس الصحابة شجاعة نادرة، سطرها التاريخ لهم، إذ تجلت لهم الجنة بنعيمها حتى أصبحت كأنها رأي عين، فاشتاقوا إليها وبذلوا في سبيل ذلك أرواحهم، فهذا عمير - رضي الله عنه - لم يتمالك نفسه عندما سمع رسول الله ﷺ يقول: « قَوْمُوا إِلَيَّ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» (١)

وذاك أنس بن النضر - رضي الله عنه - يقول يوم أحد: «وأها لريح الجنة أجده دون أحد، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ، قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ» (٢)

ومآثر التضحية وبذل النفس في حياة الصحابة - رضوان الله عليهم - وتابعيهم كثيرة، تشرق بها صفحات التاريخ.

٥ - تقوية المحبة في نفوس أبناء المجتمع لقادتهم: وذلك من خلال معاملتهم بالحسنى، ومشاركتهم همومهم، وحل مشاكلهم، والوقوف إلى جانبهم، ومشاورتهم في القضايا التي تخدم مجتمعهم، وبهذه الأمور عمل

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (٣٥٢٠).

(٢) المرجع السابق، رقم (٣٥٢٣).

الرسول ﷺ مع صحابته - رضوان الله عليهم - فحلَّ محلَّ أرواحهم ، وافتدوه بأرواحهم وأنفسهم ، وتوجهت عواطفهم نحوه ، فاستجابوا لأوامره ، واجتنبوا نواهيه ، وتركوا ما يبغضه ، وحرصوا على ما يسره ويؤنسه .

وقد روت لنا كتب السيرة نوادر في الحب والتفاني تجاه القائد العظيم ﷺ ، فذاك زيد - رضي الله عنه - «عُذِّبَ وَعُلِّقَ عَلَى شَجْرَةٍ ، وَتَحَاوَرَ مَعَهُ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِلْقَتْلِ : «أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ ، أَتَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عَنْقَهُ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تَصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي ، قَالَ : يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا ، كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا» . (١)

«وتلك امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ ، فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ ، قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جليل» . (٢)

إلى غير ذلك من القصص المؤثرة المعبرة .

فلا نجاح لمجتمع يتبادل أبنائه العداوة والبغض مع قادتهم ، ولا استقرار أو تقدم بدون المحبة الصادقة المتبادلة بينهم ، ليتولد من ذلك الطاعة لولاية الأمر ، وعدم مخالفة أوامرهم .

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

٦- ومن معالم المجتمع الصالح : انتشار التعاون بين المسلمين على الحق ، ووجود الأخوة الصادقة فيما بينهم : فقد أولى النبي ﷺ هذا الجانب اهتماماً كبيراً أثناء بناء دولته ، فمن أولى الخطوات التي قام بها في المدينة المنورة ، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وتوحيد قلوبهم ، ليكونوا قوة متماسكة تسعى لبناء المجتمع ، والسعي على تطويره ، ولتقوم بالمحافظة عليه من كيد الكائدين ، وأطماع الحاقدين .

فلم يترك ﷺ مجالاً لما يعكر صفو هذه الأخوة من الأحقاد والنزاعات والعداوات ، بل كان يقف لها بالمرصاد ليزيلها من جذورها ، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » (١)

وإن من أبرز عوامل الفشل التي منيت بها الأمة الإسلامية اليوم ، انتشار التناحر والتباغض والتفرق في أوساط العمل الدعوي ، حيث شاعت الفردية بين الدعاة في الأعمال الدعوية الإصلاحية ، دون الاستفادة من خبرات بعضهم بعضاً والتشاور فيما بينهم ، ووصل الأمر في بعض الأحيان إلى تبادل التُّهْم ، والتنازب بالألقاب ، وإساءة الظن ، لا لشيء سوى الاختلاف في الآراء ووجهات النظر ، - فلا حول ولا قوة إلا بالله - .

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، رقم (٤٥٢٥) .

معوقات الإصلاح الاجتماعي

- ١- وجود خلل في فهم المنهج الرباني والنبوي في عملية الإصلاح ، ومن صوره :
- أ- الحرص على تطبيق أحكام الإسلام جملة واحدة .
- ب- اهتمام بعض الدعاة بمعالجة المظاهر والأشكال السيئة وإزالتها دون الاهتمام بمعالجة أسبابها واقتلاع جذورها .
- ج- الغفلة عن أهمية فقه الموازنات في مسيرة الإصلاح .
- ٢- وجود نوع من اليأس والقنوط لدى بعض الدعاة .
- ٣- معاملة المتغيرات في الشريعة الإسلامية معاملة الثابت .
- د- الاختلاف بين فصائل العمل الدعوي .

معوقات الإصلاح الاجتماعي

لا بد للقيام بعملية الإصلاح، من التغلب على بعض ما يعترض طريقها من حواجز وموانع، تمنعها من القيام بمهمتها على أتم وجه، ومن أبرز هذه المعوقات التي تعترض عملية الإصلاح الاجتماعي:

١- وجود خلل في فهم المنهج الرباني والنبوي في عملية الإصلاح، ومن صورته:

أ- الحرص على تطبيق أحكام الإسلام جملة واحدة، دون مراعاة مبدأ التدرج والمرحلية في الدعوة إلى الله، مغفلين المنهج الرباني والنبوي المستخدم في عملية الإصلاح، ومتجاهلين واقع أمتهم وما وصلت إليه من انحلال وانحطاط وبعْدٍ عن الإسلام.

ب- اهتمام بعض الدعاة بإصلاح المظاهر والأشكال وإزالتها، دون الاهتمام بمعالجة أسبابها واقتلاع جذورها السيئة، وبذل جهودهم في إصلاح القضايا الفرعية والأمور الجزئية، دون الاهتمام بالقضايا الجوهرية والأمور الأساسية، فظهرت على الساحة الدعوية حركات تقوم بإتلاف مظاهر المنكر وتحطيمها، دون أن تهتم في البداية باقتلاعها من قلوب الناس، وأخرى اهتمت بالحث على إطلاق اللحن، وتقصير الثياب - مثلاً - أكثر من اهتمامها بزرع محبة الله ورسوله ﷺ في نفوس الناس، الأمر الذي أدى إلى عدم الاستجابة لدعوتهم، بل إلى نفور الناس من تصرفاتهم.

ج- الغفلة عن أهمية فقه الموازنات في مسيرة الإصلاح الاجتماعي، ووجود خلل في ترتيب الأولويات: فقلماً تجد لدى الدعاة إنشاء موازنات

لأعمالهم الدعوية ، والقيام بمقارنة بين عمليين لاختيار الأسلم نتيجةً ، أو النظر إلى الأخرى مفسدة ، فظهرت على الساحة حركات تدعوا إلى البدء بإصلاح الحكومات وتغيير الحكم ، قبل الاهتمام بإصلاح الشعوب ، الأمر الذي أوقع العمل الدعوي في مزلق كثيرة ، هم في غنى عنها ، وأدى إلى نتائج عكسية ، أثرت على العمل الدعوي تأثيراً بليغاً ، وأخرت عملية الإصلاح سنين طويلة .

كما أن انشغالهم بإصلاح الحكم عن المجتمع ، وما ترتب عليه من هجرة البعض ، وانزال الآخر ، أدى إلى غياب الدعاة المصلحين ، فظهر جيل من أبناء المسلمين لا يعرفون من الإسلام سوى الاسم ، فانتشر فيما بينهم التساهل في الفرائض ، والتهاون بها ، وارتكاب المحرمات والمنهيات ، والسعي وراء متاع الدنيا وزخارفها .

٢- وجود نوع من اليأس والقنوط لدى بعض الدعاة ، والاستسلام للأمر الواقع ، الذي آلت إليه الأمة الإسلامية ، فتكاسلوا عن القيام بمهمة البلاغ المبين ، وتباطؤوا في نشر الدعوة الإسلامية بين أبنائها .

٣- وجود بعض الدعاة ممن يعامل المتغيرات في الشريعة الإسلامية معاملة الثوابت التي لا يجوز تغييرها ، الأمر الذي أدى إلى نوع من الجمود والوقوف على أساليب ووسائل السابقين ، المتبعة في عهد الرسول ﷺ ، دون التفكير بإيجاد وسائل وأساليب ومناهج جديدة تلائم حال الأمة وتتناسب مع واقعها .

د- الاختلاف بين فصائل العمل الدعوي ، والذي أدى إلى شيوع الفرقة والتباعد بين الحركات الإسلامية ، وعدم تبادل الخبرات ، والقيام بأعمال فردية دون التنسيق لها فيما بينهم ، إلى غير ذلك من المعوقات الداخلية .

بيان بعض مصطلحات البحث

البدائل، المشروعة، الإصلاح، التدرج، التغيير

التعريف بالمصطلحات

تعرضت أثناء حديثي في التمهيد عن الإصلاح الاجتماعي، إلى بعض المصطلحات المتعلقة بالبحث، ومن أهمها:

البدائل: جمع بديل، والبديل: البَدَل، وفيه لغتان: (بَدَلٌ) و (بَدَلٌ)، و بَدَلُ الشيء: غيره، وِبَدَلُ الشيء وِبَدَلُهُ وِبَدِيلُهُ: الخلف منه، والجمع أبدال، قال سيبويه: إن بَدَلَك زيد: أي إن بديلك زيد، قال: ويقول الرجل للرجل: اذهب معك بفلان، فيقول: معي رجل بَدَلُهُ، أي رجل يغني غناءه ويكون في مكانه.

والأصل في التبديل: تغيير الشيء عن حاله، ومنه قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. (١)

والأصل في الإبدال: جعل شيء مكان شيء آخر، ومنه قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. (٢)

وبَدَلُ الشيء: حرّفه، ومنه قوله عز وجل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. (٣)

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٤٨).

(٢) سورة إبراهيم، آية رقم (٢٨).

(٣) سورة الأحزاب، آية رقم (٢٣).

والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات: بدّال، قاله أبو الهيثم،
والعامة تقول: بقّال.

قال أبو العباس: وحقيقته أن التبديل: تغيير الصورة إلى صورة أخرى،
والجوهرة بعينها

مشروعة: اسم مفعول من الفعل الثلاثي، يجمع على «- مشروعات»،
يقال: شرع الأمر: جعله مشروعاً ومسنوناً، والطريق: مدّه ومهده،
والشيء: أعلاه وأظهره، والدين: سنّه وبينه، ومنه قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ
مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾ (١).

وشرّع: مبالغة في شرع، والشريعة: سنّها، واتبعها، يقال: اشترع
سرعة فلان: تبع نهجه. (٢)

ومن خلال استعراض التعريفات اللغوية لهذه المصطلحات، يمكن أن
نعرف البدائل المشروعة بأنها: «الحلول المنضبطة بالضوابط الشرعية، المحافظة
على جوهر الشريعة الإسلامية، التي تغني الناس عن الوقوع في المحرمات،
وتصرفهم عنها».

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن البدائل المراد إيجادها لا بدّ أن تكون
ملتزمة بالضوابط الشرعية الإسلامية، وأن تكون تلك البدائل مرضية قوية،
تعوض الناس عن الأمور المحرمة المنتشرة بينهم.

كما أن هذا المشروع يشمل الناحية النظرية، والعملية، فلا يقتصر فيه

(١) سورة الشورى، آية رقم (١٣).

(٢) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٨١، مادة (شرع). وانظر لسان العرب، ج ٨، ص ١٧٦.

على التنظير لهذه القضية بل لا بد من قيام مؤسسات تسعى على تنفيذها في واقع الحياة.

الإصلاح: مصدر أصلح، يقال أصلح الشيء بعد فساده: أقامه، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١). وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت.

والصلاح ضد الفساد، صَلَحَ يَصْلَحُ وَيَصْلُحُ صَلَاحاً وَصَلُوحاً، وهو صالح وصَلِيح، والجمع صَلُحاء وَصَلُوح، (٢) وأصلح بينهما أو ذات بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، ومنه قوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣). وأصلح في عمله: أتى بما هو صالح نافع. (٤)

ويمكن تعريفه اصطلاحاً بأنه: تحسين أمر ما وتزيينه، وإزالة الشوائب العالقة به، ليكون نافعاً للناس.

التدرج: مصدر تدرَّج، يقال: تدرج إليه: تقدّم شيئاً فشيئاً، وفيه: تَصَعَّدَ درجة درجة. الدَّرَجَةُ: المرقاة، وهي الواحدة من الدرج، ويقال لغة: واستدرجه: رقاها من درجة إلى درجة، وفلاناً: خدعه حتى حمله على أن يدرج، والله العبد: أمهله ولم يباغته.

(١) سورة هود، آية رقم (٨٨).

(٢) لسان العرب، ج ٢، ص ٥١٦، مادة (صلح). وانظر المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٢٢، مادة (صلح).

(٣) سورة الأنفال، آية رقم (١).

(٤) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٢٢، مادة (صلح).

ومنه قوله سبحانه: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

ويقال لغة: درَّج فلان فلاناً إلى الشيء، إذا أدناه منه قليلاً قليلاً، ودرَّج العليل: أطعمه شيئاً قليلاً. (٢)

ويعرف في الإصطلاح: «تجزئة العمل المادي أو المعنوي إلى أجزاء متعدّدات، بحسب نسبة المسافة بين البدء والغاية، وبحسب قدرة العامل على العمل». (٣)

التغيير: مصدر غير، يقال: تَغَيَّرَ الشيء عن حاله: تحوّل، وغيره: حوّل وبدله، كأنه جعله غير ما كان، ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٤).

وغير الشيء: بدّل به غيره، يقال: غَيَّرْتُ دابتي، وغيَّرت ثيابي، جعله على غير ما كان عليه، ويقال: غَيَّرْتُ داري، إذا بنيتها بناءً غير الذي كان. (٥) ومن خلال التعريف اللغوي، يمكن تعريف التغيير اصطلاحاً بأنه: تحويل أمر ما عن حاله إلى حالٍ أخرى، حسنة أو سيئة، مع إمكان المساس بجوهر الأمر.

(١) سورة القلم، آية رقم (٤٤).

(٢) انظر لسان العرب، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٦٩، وانظر المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٧٧، مادة (درج).

(٣) الشريعة الإسلامية بين التدرج في التشريع والتدرج في التطبيق، لعبد الرحمن حسن جبنكة الميداني، ص ١٣، اللجنة الاستشارية للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ٢٠٠٠ م.

(٤) سورة الرعد، آية رقم (١١).

(٥) لسان العرب، ج ٥، ص ٤٠، مادة (غير)، والمعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٧٤.

الفصل الأول

منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في طرح البديل

- المبحث الأول : منهج القرآن الكريم في طرح البديل .
- المبحث الثاني : منهج السنة النبوية في طرح البديل .

المبحث الأول
منهج القرآن الكريم في طرح البديل

المبحث الأول

منهج القرآن الكريم في طرح البديل

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى من عنده كتاباً يحوي دستوراً وتشريعاً للبشرية جمعاء، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢).

قال القرطبي: «أي في القرآن، ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب». (٣).

فقد جمعت في هذا الكتاب العظيم العلوم بشتى أنواعها، فمنه يستفيد العلماء على مختلف تخصصاتهم، وهو دليل الحائرين، والحكم الفصل المبين، جعله الله سبحانه صالحاً لجميع الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، وميزه بخصائص تحقق الغرض من إنزاله.

فكان شاملاً يحيط بكل ما يحتاج إليه الإنسان، ضامناً له السعادة الدنيوية والأخروية.

(١) سورة النحل، آية رقم (١٨٩).

(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ج ٦، ص ٤٢٠، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.

ومتوازناً يراعي ضعف البشر واحتياجاتهم إلى قيام الساعة، كما أذن تشريعاته تحقق انسجاماً بين الروح والمادة، وبين القلب والعقل، وبين الحقوق والواجبات.

وهذا الكتاب الكريم بكل ما حوى من خصائص ومميزات وتشريعات وعلوم، بديل لهذه الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة، عن تلك الكتب السماوية السابقة، التي أنزلت لتعالج مشاكل أولئك القوم، وتضبط سلوكياتهم، فكانت محدودة الزمان والمكان، لا تصلح للتطبيق إلا في عصرها.

ولتحقيق هذا الغرض أنزله سبحانه وتعالى على سبعة أحرف رحمة بعباده، ولم يقتصر على حرف واحد، بل أوجد لهم لهجات بديلة ليسهل عليهم قراءته وفهمه والتعبد به، ولو كان مقتصرأ على لهجة واحدة لكان في ذلك حرج ومشقة على الناس.

فهذا عمر بن الخطاب يقول: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلِمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ، قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأْنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ أَفُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرَأْنِيهَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَهُ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: أَقْرَأْ

يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ». (١)

كما أن القرآن بمجمله إما تشريع أمر جديد، أو إيجاد حكم بديل، فمن أمثلة التشريع الجديد: تشريع الصلاة والصيام والزكاة والحج والحدود وما إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. (٢)

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. (٣)

وقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾. (٤)

وقوله سبحانه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. (٥)

وأما صور إيجاد الحكم البديل في القرآن الكريم فكثيرة فوق الحصر، ومن أمثلتها: وجود الرخص في كتاب الله عز وجل، كقصر الصلاة للمسافر، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم (٤٦٠٨).

(٢) سورة البقرة، آية رقم (٤٣).

(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٨٣).

(٤) سورة البقرة، آية رقم (١٩٧).

(٥) سورة البقرة، آية رقم (١٩٤).

تَقْصِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١﴾.

وإباحة الفطر في رمضان للمسافر، وللكبير الذي لا يستطيع مع الكفارة، يقول سبحانه: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾.

والأمر بالتيمم عند العجز عن استخدام الماء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٣﴾.

إلى غير ذلك من الأمثلة.

ومن تأمل أسرار الشريعة وتدبر معانيها، رأى أنه سبحانه وتعالى لم يحرم شيئاً فيه ضرر على عباده، إلا وأوجد لهم بديلاً وعوضاً عنه فيه منفعة لهم.

فحرم سبحانه وتعالى الزنى، وأباح لهم الزواج وملك اليمين، وأبدلهم بنكاح النساء اللاتي ترتاح إليهن أنفسهم عن اليتامى اللاتي تربوا في حجورهم، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ

(١) سورة النساء، آية رقم (١٠١).

(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٨٤).

(٣) سورة النساء، آية رقم (٤٣).

لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿١﴾.

كما حرم على الرجال وطء نساءهم في نهار رمضان، وأباح لهم ذلك ليلاً، قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢﴾.

وحرم عليهم وطء الحائض، قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣﴾.

وسمح لهم في مباشرتها كما ثبت ذلك بالسنة، فعن عبد الله بن شداد قال: سَمِعْتُ مَيْمُونَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ أَمَرَهَا فَاتَزَرَّتْ وَهِيَ حَائِضٌ». (٤)

وحرم عليهم نكاح الأقارب، وأباح لهم منه بنات العم والعمة، وبنات الخال والخالة، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

١ - سورة النساء، آية رقم (٣).

٢ - سورة البقرة، آية رقم (١٨٧).

٣ - سورة البقرة، آية رقم (٢٢٢).

٤ - صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، رقم (٢٩٢).

وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ «وهذا يقتضي ألا يحرم من النساء إلا من ذكر، وليس كذلك، فإن الله تعالى قد حرم على لسان نبيه من لم يذكر في الآية، فيضم إليها . . . والكتاب والسنة كالشيء الواحد، فكأنه قال: قد أحللت لكم ما وراء ما ذكرنا في الكتاب، وما وراء ما أكملت به البيان على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم». (٢)

وحرم عليهم الكذب، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. (٣)

وأباح لهم المعارض والكذب لمصلحة راجحة، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً

(١) سورة النساء، آية رقم (٢٣-٢٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) سورة النحل، آية رقم (١٠٥).

وَيَنْمِي خَيْرًا»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا إِلَّا فِي ثَلَاثِ الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا». (١)

وحرّم عليهم الخيلاء والكبر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٢)

وأباحه لهم في الحرب مع الكفار فعن ابن جابر بن عتيك عن أبيه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ الْخِيَلِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَالْغَيْرَةُ فِي الرَّيْبَةِ، وَأَمَا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رَيْبَةٍ، وَالْاِخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اِخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَالْاِخْتِيَالُ الَّذِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اِخْتِيَالُ الْخِيَلِ فِي الْبَاطِلِ». (٣)

وحرّم عليهم صيد البر في حال الإحرام، وأبدلهم عنه بصيد البحر، قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. (٤)

وحرّم سبحانه وتعالى عليهم الربا، وأباح لهم البيع، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه، رقم (٤٧١٧).

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٣٧).

(٣) سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، رقم (٢٥١١)، وانظر - بلفظ آخر - مسند الإمام أحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، رقم (٢٢٦٣٢).

(٤) سورة المائدة، آية رقم (٩٦).

يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

كما حرم عليهم الميتة بأنواعها، ورخص لهم الأكل منها في حال الضرورة، وأباح لهم منها ما ذكي، يقول سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فُسْطُ الْيَوْمِ يَتَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾.

يقول ابن القيم - رحمه الله - : «فإن فطام النفوس عن مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها، فأعطيت بعض الشيء ليسهل عليها ترك الباقي، فإن النفس إذا أخذت بعض مرادها قنعت به، فإذا سئلت ترك الباقي كانت إجابتها إليه أقرب من إجابتها لو حرمت بالكلية وبالجملة، فما حرم عليهم خبيثاً ولا ضاراً، إلا وأباح لهم طيباً بإزائه أنفع لهم منه». (٣)

ولم يقتصر المشرع سبحانه على إيجاد البدائل لعباده، في أمور عباداتهم خاصة، بل أوجد لهم بدائل أيضاً في علاقتهم العامة مع ربهم، وما يمكن أن

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٧٥).

(٢) سورة المائدة، آية رقم (٣).

(٣) إعلام الموقعين، لابن القيم الجوزية، ج ٢، ص ٤٣٢، - ٤٣٣.

يطرأ عليها من مخالفة أو تقصير، فهو سبحانه وتعالى أعلم بضعف عباده، وأرحم بهم من أنفسهم، فشرع لهم التوبة وتبديل العمل السيئ بالحسن، ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (١)

كما أوجد لهم سبحانه وتعالى كفارات لأعمالهم، وعجل لهم عقوبات في الدنيا بدلاً عن العقوبة الأخروية، رحمة بهم، وهذا واضح في آيات الكفارات والحدود التي شرعها سبحانه، كحد السرقة والقتل والزنى، وكفارة الظهر واليمين والقتل الخطأ.

ومن هذه الآيات قوله عز وجل في حد السرقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (٢)

وقوله سبحانه في حد القذف: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (٣)

وقوله عز وجل في كفارة القتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. (٤)

(١) سورة النمل، آية رقم (٣٨).

(٢) سورة المائدة، آية رقم (٣٨).

(٣) سورة النور، آية رقم (٤).

(٤) سورة النساء، آية رقم (٩٢).

وقوله عز وجل في كفارة الظهر: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَم تَوْعظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١).

وقوله تعالى في كفارة اليمين: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

كما نجد أنه سبحانه وتعالى أوجد لهم مساحة واسعة من المباحات؛ لاستخدامها كبدائل تغني الناس عن التعامل مع المحرمات، وحثهم على الأخذ بها والتمتع بمتعها، يقول عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

ومن صور إيجاد البدائل في القرآن الكريم أيضاً، تلك الآيات التي تتضمن نسخ حكم وتبديله بحكم آخر، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

(١) سورة المجادلة، آية رقم (٣).

(٢) سورة المائدة، آية رقم (٨٩).

(٣) سورة الأعراف، آية رقم (٣٢).

(٤) سورة البقرة، آية رقم (١٠٦).

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

يقول الزرقاني - رحمه الله - في مناهل العرفان: «كذلك الأمم تتقلب كما يتقلب الأفراد في أطوار شتى، فمن الحكمة في سياستها وهدايتها أن يصاغ لها من التشريعات ما يناسب حالها في الطور الذي تكون فيه، حتى إذا انتقلت منه إلى آخر لا يناسبه ذلك التشريع الأول، حُقَّ أن يصاغ لها تشريع آخر يتفق وهذا الطور الجديد». (٢)

وهو علم له أهميته من علوم القرآن الكريم، وقد ألف فيه العلماء مؤلفات واسعة، تناولت الآيات التي وقع فيها النسخ، ومنها قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

نسخت بقوله عز وجل: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٥).

(١) سورة النحل، آية رقم (١٠١).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ٢، ص ٨٥، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) سورة المجادلة، آية رقم (١٢).

(٤) سورة المجادلة، آية رقم (١٣).

(٥) سورة الأنفال، آية رقم (٦٥).

نسخت بقوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. (١)

كما نسخت آية الترغيب في العفو والصفح عن المشركين، وهي قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٢)

بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. (٣)

إلى غير ذلك من الآيات.

والتأمل في كتاب الله عز وجل، وفي وجود الناسخ والمنسوخ فيه، يجد أنه سبحانه وتعالى أراد أن يلفت أنظار عباده إلى أهمية التغيير، وضرورة التبديل، وإيجاد الحلول العملية للخلق، فهو سبحانه لا يعجزه شيء، وقادر على تشريع حكم صالح للبشرية إلى قيام الساعة، دون نسخه أو تبديله، ومع ذلك رأينا آيات ليست بالقليلة قد اعترأها نسخ أو تبديل.

فحري بالعلماء والدعاة أن ينهجوا نهج الشارع الحكيم، وأن يستفيدوا من أساليبه، ويعملوا على إصلاح عباده وفق هديه، وأن يجتهدوا في إيجاد بدائل تبعد الناس عن استخدام المحرمات المنتشرة في عصرهم، والوقوع فيها.

(١) سورة الأنفال، آية رقم (٦٦).

(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٠٩).

(٣) سورة الحج، آية رقم (٣٩).

المبحث الثاني
منهج السنة النبوية في طرح البديل

المبحث الثاني

منهج السنة النبوية في طرح البديل

أرسل الله سبحانه الرسول الكريم محمداً ﷺ لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإصلاح ما هم عليه من ضلال وفساد، فكانت بعثته عليه الصلاة والسلام -رحمة للبشرية جمعاء، حيث أوجد لهم تشريعاً جديداً، وأبدلهم بما كانوا عليه من عقائد باطلة، وعبادات فاسدة، وأخلاق منكرة، عقيدة صافية، وعبادات صحيحة، وأخلاق حميدة.

ولا تخفى على مسلم حياة الرسول الكريم ﷺ كيف عاش يتيماً، رعاه بعد موت أبيه وأمه، جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب الذي أولاه كل عناية ورعاية، ووقف بصّفه ودافع عنه دفاع الوالد عن ولده، حتى شبّ وقويت عوده وبلغ مبلغ الرجال.

فتفتحت عيناه الشريفتان على مجتمع مليء فساداً، وانتشرت فيه الرذائل، وقلّ فيه الخير، وكثر فيه الشر، - قلّ لشاب أن يثبت فيه على الفطرة السليمة - ، ولكن الله عز وجل عصمه من الخطأ فما وقع في ذنب أو رذيلة، وقد روى ﷺ ذلك عن نفسه في قصص كثيرة، من أصحابها ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعبّاس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: أرني إزاري فشدّه عليه». (١)

ولقد اهتم ﷺ أن يوجد لنفسه بدائل عن المحرمات التي كانت متشرة في

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم (١٤٧٩).

تلك البيئة، ليكون ذلك قدوة للمسلمين على مرّ العصور، فيعملوا على البحث عن بدائل مشروعة تبعدهم عن الوقوع في المحرمات، فشارك ﷺ في رعي الغنم ليؤمن الكسب الحلال، وليغني نفسه عن الطرق المحرمة للكسب والتي كانت منتشرة في عصر الجاهلية، كالربا والقمار. . . . ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ». (١)

ثم أوجد لنفسه المرأة الصالحة التي تعفه وتعينه على أداء رسالته وتخفف عنه همومه وما يلاقيه من قومه، فقبل الزواج من السيدة خديجة - رضي الله عنها - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَبُوهَا يَرِغِبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا فَدَعَتْ أَبَاهَا وَزُمْرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَطَعَمُوا وَشَرَبُوا حَتَّى ثَمَلُوا فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُنِي فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَخَلَعَتْهُ وَأَبْسَتْهُ حُلَّةً - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْأَبَاءِ - فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ سُكْرُهُ نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي، مَا هَذَا؟ قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَنَا أُزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ، لَا لِعَمْرِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحْيِي، تُرِيدُ أَنْ تُسْفَهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ، تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ». (٢)

وبعد فترة أمر الرسول ﷺ بتبليغ الدعوة، فقام بذلك حق القيام ولاقى هو وأصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - أشد الأذى، فصبروا على ذلك وعاشوا

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم (٢١٠٢).

(٢) مسند الإمام أحمد، من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن العباس، رقم (٢٧٠٥)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح.

مع رسول الله ﷺ في أحلك الظروف وأشقها، حيث لم يؤمر - عليه الصلاة والسلام - في بداية دعوته بالقتال أثناء وجوده بمكة المكرمة .

وتفنن كفار قريش في إيذائه وإيذاء أصحابه حتى اشتد عليهم الأمر ، وكان - عليه الصلاة والسلام - في تلك المرحلة الحرجة يصبرهم ، ويقوي من عزائمهم ، فعن خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ - رضي الله عنه - قَالَ : «شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» . (١)

ولم يترك - عليه الصلاة والسلام - أصحابه يواجهون الأذى دون أن يقدم لهم شيئاً ، ويخفف عنهم ما يلاقونه من أذى ، فأوجد لهم مكاناً سرياً بديلاً ليؤدوا عباداتهم في أمان ، فعين دار الأرقم بن أبي الأرقم مكاناً يجتمعون فيه ، ويمارسوا عباداتهم دون أن يتعرض لهم أحد من المشركين .

ولم يقف - عليه الصلاة والسلام - عند ذلك الحد ، إنما أوجد أموراً أخرى ، بديلة عن القتال بالسلاح ، ليحارب بها الكفار محاربة سلمية دون سفك دماء .

فأوصى إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، ليأمنوا فيها على

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٤٣) .

أنفسهم ، وليلقن المشركين بذلك درساً ، لأن العرب في الجاهلية كانت تفخر بقرابتها وتعزز بحسن علاقتها مع أرحامها ، وتحذر أشد الحذر من حصول أمر يؤدي إلى تفرق القبيلة الواحدة ، وتخشى من أن ينتشر بين الناس أي أمر يمس كرامتها وعزتها .

ولو كان ﷺ يقصد بالهجرة إلى الحبشة أن يحمي أصحابه من التعذيب فقط ، لكان أمر العبيد والضعفاء الذين أسلموا معه ولاقوا أشد التعذيب أن يهاجروا مع من هاجر .

ولكننا نرى أن من هاجر من المسلمين هم من أشرف العرب نسباً ، وأعظمهم مكانة في الجاهلية ، ومن أكرم البيوتات وأعرقها ، كأمثال : «عثمان ابن عفان - وكان من بني أمية بن عبد شمس - ، والزيير بن العوام - وكان من بني أسد بن عبد العزى بن قصي - ، ومصعب بن عمير - وكان من بني عبد الدار ابن قصي - ، وعبد الرحمن بن عوف - وكان من بني زهرة بن كلاب - ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد - وكان من بني مخزوم ، وعثمان بن مظعون - وكان من بني جمح - ، وعامر بن ربيعة - وكان من بني عدي بن كعب - ، وأبو سبرة - وكان من بني عامر بن لؤي - ، وسهيل بن بيضاء - وكان من بني الحارث بن فهر ، وأبو حذيفة بن عتبة - وكان من بني عبد شمس فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة» . (١)

يقول سيد قطب - رحمه الله - : «والقول بأنهم هاجروا بمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية ، فلو كان الأمر كذلك ، لهاجر إذن أقل الناس جاهلاً وقوة ومنعة من المسلمين ، غير أن الأمر كان على الضد من هذا ،

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

فالموالي المستضعفون الذين كان ينصبّ عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنما هاجر رجال ذوو عصبيات، لهم من عصبيتهم - في بيئة قبلية - ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة وهاجرت نساء كذلك من أوساط البيوت الكبيرة في قريش، وأبنائها الكرام المكرمون يهاجرون بعقيدتهم فراراً من الجاهلية تاركين وراءهم كل وشائج القربى في بيئة قبلية تهزها هذه الهجرة على هذا النحو هزاً عنيفاً» (١).

وبهذا يكون النبي ﷺ قد أوجد حرباً من نوع آخر لا سلاح فيها ولا قتال، فتقصد أن يثير في نفوس الكفار هذا الجانب، ويشعرهم بأن من أسلم معه قد شعر بلذة الإيمان في قلبه، ولاقى محبة وصحبة أغنتهم عن علاقتهم مع أقوامهم، وهونت عليهم أمر العلاقة النسبية، فأصبح الولاء لها لا إلى عرق أو قبيلة.

ولذلك جنّ جنونهم، وأرسلوا وجهاء قومهم إلى الحبشة ليردوا أقاربهم الذين هاجروا إليها، وقصتهم وإلحاحهم على ملك الحبشة (النجاشي) - رحمه الله - ومناقشتهم له معروفة، ترويه أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ - النجاشي - أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدتين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقتيه بطريقاً إلا

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، مجلد ١، ج ١، ص ٢٩، طبعة دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة، ١٣٩٨ هـ.

أَهْدُوا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمَغِيرَةَ الْمُخْزُومِيَّ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَأَمْرُوهُمَا أَمْرُهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَيَّ كُلَّ بَطْرِيقِ هَدِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ثُمَّ قَدَّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدَمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بَطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مَنَا غُلْمَانٍ سَفَهَاءُ فَارُقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدَيْنِ مُبْتَدِعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مَنَا غُلْمَانٍ سَفَهَاءُ فَارُقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَجَاءُوا بِدَيْنِ مُبْتَدِعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَاسَلِّمَهُمْ إِلَيْهِمَا فَلِيَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللَّهُ أَيْمُ اللَّهِ إِذَنْ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوِرُونِي وَنَزَلُوا بِبِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَاسَأَلْتُهُمْ... . ولما سمع كلام الطرفين قال: «رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسُ فِي فَأَطِيعَهُمْ فِيهِ،

قَالَتْ فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ
مَعَ خَيْرِ جَارٍ». (١)

وبقي ﷺ فترة يبحث عن بلد بديل يؤمن فيه دعوته وأصحابه، ويؤسس فيه الدولة الإسلامية، حتى أراه الله - سبحانه وتعالى - في منامه بلده الذي سيؤسس فيه دولة الإسلام، فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَيَّ أَنَّهُآ الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أَصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ». (٢)

وكان ﷺ قد قطع مرحلة كبيرة يوجد فيها المجتمع المسلم البديل أثناء إقامته في مكة المكرمة، ويخلصه من معتقداته الفاسدة، ويغرس فيه الإيمان بالله وحده، ويعدل من أخلاقه السيئة وعاداته القبيحة.

كما أرسل بعض الصحابة إلى مدن أخرى لينشروا هذا الدين الإسلامي ويثبتوه في نفوس الناس، ويعلموهم شعائر دينهم.

فبعث مصعب بن عمير - رضي الله عنه - أول سفير في الإسلام إلى المدينة

(١) مسند الإمام أحمد، مسند أهل البيت، حديث جعفر بن أبي طالب، رقم (١٦٤٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب المغازي والسير، باب الهجرة إلى الحبشة، المجلد السادس: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٥٢).

المنورة، ليهيأ له وطناً ملائماً، وشعباً صالحاً يعينه على قيام الدولة البديلة، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل». (١)

وهاجر ﷺ إلى المدينة المنورة، التي كان أهلها ينتظرونه بفارغ الصبر، ثم توافدت جموعات المهاجرين إليها، وكانوا قد تركوا أموالهم وأهليهم وديارهم وفروا بدينهم مع رسول الله ﷺ.

وهنا ظهرت مشكلة جديدة، وبدت الحاجة ملحة - عند قدوم أعداد من المهاجرين - للمؤاخاة فيما بينهم.

فالمهاجرون لا مال عندهم يغنيهم عن السؤال، ولا مأوى يؤويهم، فحرص النبي ﷺ أن يعوضهم عما فقدوه، وأن يوجد لهم أنحوة تغنيهم وصحبة تنسيهم أحزانهم وتخفف عنهم مصابهم، فأخى بين المهاجرين والأنصار - رضوان الله عليهم أجمعين - .

«فكان أبو بكر الصديق وخارجة بن زهير أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وعبد الله بن

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، رقم (٣٦٣٢).

مسعود أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب الأنصاري أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين،» (١).

وهكذا جمع رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار بأخوة صادقة، لم يشهد التاريخ مثلها.

وقد رويت بعض قصص الإيثار التي كانت بينهم، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُونِي عَلَى السُّوقِ، فَأَتَى السُّوقَ فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقْطٍ وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: مَهَيْمُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالَ: تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً، قَالَ: فَمَا سَقَّتْ إِلَيْهَا، قَالَ: وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ» (٢).

وهكذا رأينا أثر التربية الإيمانية التي رباهم عليها سيدنا محمد ﷺ، عندما استجابوا لأمره - عليه الصلاة والسلام - مع محبة ورغبة من الأنصار في خدمة المهاجرين، وبهذا يكون النبي ﷺ قد أوجد لهم بديلاً صالحاً أشرف عليه بنفسه، ليجمع بين قلوبهم، ويؤنسهم في غربتهم، وينسيهم أحزانهم، فكان خير بديل عما تركوا من أهل وأولاد، وما فقدوا من مالٍ وعتاد.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٢، ص ١٠٩، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه: انظر أي زوجتي شئت . . . ، رقم (٤٦٨٤).

وفي الفترة المدنية بدأ النبي ﷺ يث في عقولهم المفاهيم الصحيحة بدلاً عن تلك المفاهيم والأفكار التي رسخت في عقولهم، فحرص - عليه الصلاة والسلام - على تغيير مفهوم الناس عن الدنيا، التي انشغلوا بها في الجاهلية، وفعلوا ما بوسعهم للحصول على متعها، دون الالتفات إلى الآخرة والاهتمام بها والاستعداد لها، فعن علقمة عن عبد الله قال: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (١).

ووجه اهتمام صحابته - رضوان الله عليهم - على العمل استعداداً ليوم الجزاء والحساب الذي أنكره كفار قريش، ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٢).

فعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسُهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ». (٣)

كما عالج - عليه الصلاة والسلام - بعض مظاهر الانحراف في العقيدة، وذلك بإيجاد معتقد بديل عن معتقداتهم السابقة، فعن زيد بن خالد الجهني قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنْ

(١) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، رقم (٢٢٩٩)، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) سورة الصافات، آية رقم (١٦).

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (٢٣٨٣)، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» (١).

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ «لَا عَدُوِي وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ». (٢)

كما عمل ﷺ على لفت أنظار الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى بعض المصطلحات، وذلك بتغيير مفهومهم عنها، وإيجاد مفهوم جديد لها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضْرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». (٤)

كما اهتم ﷺ بتشريع الشرائع وتبيين الحلال من الحرام، وزرع في نفوس الصحابة الكرام حب العبادة وكرهية العصيان، بعد أن غرس في قلوبهم العقيدة الإسلامية الصافية في الفترة المكية.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم (١٠٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، رقم (٥٣١٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٤٦٧٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٥٦٤٩).

وقد حمل الصحابة - رضوان الله عليهم - المهاجرون منهم والأنصار بعد إسلامهم بعض الأمور التي تعودوا عليها في الجاهلية، وكانت جزءاً من حياتهم لا يستطيعون تركها.

فشرع ﷺ ينظم حياة المسلم العامة والخاصة، فلم يترك جانباً إلا وأرشدهم إلى ما يصلح شأنهم، ويعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، فاهتم بأمور العبادات والمعاملات والعلاقات، وبلهو المسلم وفرحه، وحياته الخاصة مع زوجته وأولاده، فأوجد نظاماً للحياة متوازناً يراعي الطبيعة البشرية وضعفها، وما يطرأ عليها من ملل وسأم، ومرض وضعف، وأولى جانب البدائل جُلَّ اهتمامه، فنراه - عليه الصلاة والسلام - يحرم أمراً ويبيح لهم أموراً تغنيهم عنه.

وفي تصوير هذه الحالة يقول الدكتور القرضاوي: «الإسلام دين واقعي لا يخلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثني وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. لذلك لم يفرض على الناس - ولم يفترض فيهم - أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل صمتهم فكراً، وكل سماعهم قرآناً، وكل فراغهم في المسجد. وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون» (١).

فحرص ﷺ على إظهار وتمييز المسلمين بشعائرهم وعباداتهم وأسلوب

(١) الحلال والحرام في الإسلام، للدكتور القرضاوي، ص ٢٦٤، الطبعة الخامسة؛ المكتب

الإسلامي، ١٩٩٤م.

حياتهم، فأبدل ﷺ التحية التي كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يستخدمونها قبل الإسلام بتحية أحسن منها وهي السلام، حتى صارت تحية أهل الإسلام فعن عمران بن حصين قال: «كُنَّا نَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا وَأَنْعَمَ صَبَاحًا فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ نُهَيْنَا عَنْ ذَلِكَ»^(١) فميزهم ﷺ عن غيرهم في إلقاء التحية فيما بينهم .

كما أوجد لهم تعويذات وأذكاراً وأدعية يستخدمونها، بدلاً عن تلك التي اعتادوا عليها في الجاهلية، والتي تتضمن الشرك بالله - عز وجل -، فنهاهم عن التمام وما سواها مما كان شائعاً أيام الجاهلية، ودلهم على ما هو خير لهم وأنفع، وعلمهم من الأدعية والتعويذات ما يحصنهم ويزيل عنهم الوجع .

فَعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الرُّقْيَ وَالتَّمَامِ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ، قَالَتْ قُلْتُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ، وَكُنْتُ أُخْتَلِفُ إِلَى فُلَانِ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيَنِي فَإِذَا رَقَانِي سَكَنْتُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّمَا ذَاكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَاهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولِي كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَذْهَبُ الْبَأْسَ رَبِّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» .^(٢)

كما شرع لهم طريقة بديلة ووسيلة إسلامية لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة، تختلف عن طرق وأساليب النصارى والمجوس وغيرهم، فعن أبي عبد الله بن زيد قال: «لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لَجْمُ الصَّلَاةِ، طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في الرجل يقول أنعم الله بك علينا، رقم (٤٥٥٠).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب: في تعليق التمام، رقم (٣٣٨٥)، وسكت عنه .

بالمدينة، قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْرِضُ بِالْخَمْرِ وَلَعَلَّ اللَّهَ سَيُنزِلُ فِيهَا أَمْرًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَبِيعُ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَسَفَكُوهَا». (١)

فقد حرص النبي ﷺ قبل تحريم الخمر أن يوجد لهم بديلاً عنها يستفيدون منه، ويعوضهم عنها بما ينتفعون به من كسب ومال، لأن بعد تحريمها يحرم بيعها والاستفادة منها، فأراد ألا يحرمهم منها حرماناً دون أن يجرّ لهم نفعاً منها، وكان ذلك تمهيداً لهم لتحريمها فيما بعد.

ثم وسع عليهم في المشروبات الأخرى من الطيبات، التي فيها غنى عن كل مشروب محرم، ولم يكتفِ الشارع الحكيم بذلك، بل وعدهم خمراً في الآخرة، ترغيباً للنفس البشرية في ترك ما تعودت عليه في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾. (٢)

وكذلك الأمر في جانب المأكولات من الأنعام وغيرها، فقد حرم الشارع الحكيم ما يضر بصحة الإنسان وما تستخبثه الفطر السليمة، فأحل لهم كل الكائنات التي لا تعيش إلا في الماء.

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر، رقم (٢٩٥٦).

(٢) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم -، آية رقم (١٥).

كما أباح لهم كل الكائنات البرية والطيور، إلا ما استثني منها، كالحوانات المفترسة ذات الأنياب، وكل ذي مخلب من الطير، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير». (١)

وكذلك حرم عليهم الميتة والدم، وأباح لهم منها أنواعاً أخرى فيها مصلحة وفائدة للناس، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال». (٢)

كما أولى الإسلام جانب اللباس والزينة عناية كبيرة، فحث المسلمين على ستر العورة والتميز عن غيرهم بلباسهم، وطلب منهم التجميل والاهتمام بحسن الهيئة، وأوجد للرجال لباساً يميزهم عن لباس النساء، فأباح الحرير للنساء وحرمه على الرجال، وعوضهم عنه بأنواع أخرى، كما أباح للنساء التزين بالذهب وغيره من الحلي، وحرّم ذلك على الرجال، وأباح لهم التزين بالفضة، فعن ابن زبير أنه سمع علي بن أبي طالب يقول: «إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال إن هذين حرام على ذكور أمّتي». (٣)

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع...، رقم (٣٥٧٤).

(٢) أخرجه أحمد والدارقطني مرفوعاً، وقال: إن الموقوف أصح، ورجح البيهقي أيضاً الموقوف، إلا أنه قال: إن له حكم الرفع، انظر مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، باقي المسند السابق، رقم (٥٤٦٥).

(٣) سنن النسائي، كتاب الزينة، باب تحريم الذهب على الرجال، رقم (٥٠٥٣)، ونقل =

كما اهتم بالنفس البشرية التي تميل إلى الطرب وسماع ما يخفف عنها همومها وأتعب الحياة، ويبعد عنها الملل والسأم، ويبعث فيها الارتياح، ويجدد نشاطها، فلم يكتبها ويحرمها من رغباتها، بل أباح لها سماع الغناء الهادف وبعض آلات اللهو (كالدف)، فعن الربيع بنت مَعُوذٍ - رضي الله عنها - قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنَي عَلِيٍّ فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَا جَلَسَ كَ مِنِّي وَجُوزِيَّاتٍ يَضْرِبْنَ بِالْدَفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ». (١)

وحرم عليهم ما سواها من الآلات والمعازف، فعن أبي عامرٍ أو أبي مالكٍ الأشعريُّ أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمِعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَيَّ جَنَّبَ عِلْمَ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ بِأَتْيِهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعِلْمَ وَيَمْسُخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (٢)

كما حرم عليهم الاحتفال بأعيادهم التي اعتادوا عليها في الجاهلية، وأبدلهم عنها بيومي العيد، فعن أنس بن مالكٍ قال: «كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ: كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى». (٣)

الشوكاني في نيل الأوطار عن ابن المدني، ج ٢، كتاب اللباس، باب تحريم لبس الحرير والذهب على الرجال دون النساء، حكمه على الحديث بقوله: حديث حسن ورجاله معروفون.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، رقم (٣٧٠٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

(٣) سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، رقم (١٥٣٨).

ووجه الناس إلى الترويح عن نفوسهم وعدم كبتها وقصر الأوقات على العبادات المشروعة والتنطع في ذلك .

فقد استنكر بعض الصحابة حالهم وما يحصل لها في بعض الفترات من ضعف وقصور، حتى ظن بعضهم أن هذا نفاقاً، فعن حَنْظَلَةَ الأَسِيدِيِّ - رضي الله عنه - قال: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ، قَالَ: قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ، قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٌ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ والأَوْلَادَ وَالضُّعِيَّاتِ فَنَسِينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٌ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ والأَوْلَادَ وَالضُّعِيَّاتِ نَسِينَا كَثِيراً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدَوَّمُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» (١).

وقد كانت شخصية الداعية الأول ﷺ مثلاً يقتدى بها في جميع أحوالها، تجمع بين الجد والمزاح، وبين العبادة والارتياح.

فكان ﷺ قوي الصلة بربه، شديد الخشية منه، حريصاً على تبليغ رسالته، مازحاً لأصحابه، مداعباً لهم، يوجههم إلى اللعب الهادف والمزاح

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم (٤٩٣٧).

المدوح، فعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين أن رسول الله ﷺ قال إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرأمي به، والممد به، وقال: ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق. (١)

وكان يمارس ذلك بنفسه ليوجد لهم بديلاً عن المزاح واللعب المذموم، فعن أنس - رضي الله عنه - «أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً كان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه، وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه النبي ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد، فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسداً، فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: لكن عند الله أنت غال. (٢)

هذا إلى جانب لعبه ﷺ مع زوجاته ومع أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - ، فعن عائشة - رضي الله عنها - «أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر

١ - سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم (١٥٦٠)، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

٢ - مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، وقال الحافظ الهيثمي، في مجمع الزوائد، المجلد التاسع، كتاب المناقب، باب ما جاء في زاهر بن حزام: رجال أحمد رجال الصحيح.

قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ هَذِهِ
بِتِلْكَ السَّبْقَةِ» (١).

وكذلك قصته مع ركانة - رضي الله عنه - ومصارعته له مشهورة، فعن ابن
رُكَّانَةَ عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّ رُكَّانَةَ صَارَعَ النَّبِيَّ ﷺ فَصَرَعهُ النَّبِيُّ ﷺ». (٢)

وإقراره للحبشة باللعب في المسجد، وسماحه لزوجته عائشة - رضي الله
عنها - بشهود ذلك، ليلبي لها حاجتها في اللهو المباح، وليوجد لها بديلاً
صالحاً يغنيها عن النظر المحرم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا
الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ دَخَلَ عُمَرُ فَأَهْوَى إِلَى الْحَصَى فَحَصَبَهُمْ
بِهَا فَقَالَ: دَعَهُمْ يَا عُمَرُ». (٣)

«وإنها لسماحة كريمة من رسول الإسلام أن يقر مثل هذا اللعب في
مسجده المكرم، ليجمع فيه بين الدين والدنيا، وليكون ملتقى المسلمين في
جدهم حين يجدون، وفي لهوهم حين يلهون، على أن هذا ليس لهوا فقط،
بل هو لهو ورياضة وتدريب. وقد قال العلماء تعقيباً على هذا الحديث: إن
المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة
الدين وأهله جاز فيه، فلينظر مسلمو العصور المتأخرة كيف أفقرت مساجدهم
من معاني الحياة والقوة، وبقيت في كثير من حالاتها مقراً للعاطلين؟» (٤)

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، رقم (٢٢١٤).

(٢) سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب العمائم على القلائس، رقم (١٧٠٦)، وقال عنه:

حديث غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحراب ونحوها، رقم (٢٦٨٦).

(٤) الحلال والحرام في الإسلام، للقرضاوي، ص ٢٦٩.

كما اهتم الرسول ﷺ بغريزة الإنسان التي جبل عليها، ورغبته الجنسية التي أودعها الله فيه، ليحافظ على النوع البشري.

فأمر الشباب بالزواج كبديل عن ممارسة الحرام، ليحفظ المجتمع من الانحلال واختلاط الأنساب وفسو الفواحش.

ولم يترك العاجز عن الزواج دون بديل، بل أوجد له بديلاً عن ذلك، يخفف من الشهوة، ويضبط الغريزة الجامحة، فوجهه إلى الصوم، فعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمَنَى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَوَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نَزُوجَكَ بِكَرًا تَذْكُرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ؟ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيَّ هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا لَكُنْ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ». (١)

كما أولى جانب الكسب الطيب والعمل بحرفة نافعة عناية كبيرة، وحرّم التكسب بطرق غير مشروعة، وشدد على من يسأل الناس المال، وهو قادر قوي يستطيع التكسب.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ». (٢)

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: من استطاع منكم الباءة فليتزوج...، رقم (٤٦٧٧).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزكاة، باب من لا تحل له الصدقة، رقم (٥٨٩)، وقال عنه: حديث عبد الله حديث حسن.

وحرص - عليه الصلاة والسلام - على كرامة الإنسان وصانها بتوجيهاته الكريمة ، وشجع أصحابه على العمل وبذل الجهد في طلب الرزق ، وحذرهم من البطالة والجلوس دون عمل ، والاعتماد على الغير في المعيشة ، كما اهتم - عليه الصلاة والسلام - بمعالجة البطالة والالتكال على الغير في كسب الرزق ، وذلك بتغيير مفهوم الناس حول السعي في طلب الرزق ، والعمل لتأمين المعيشة ، التي قد يظنها البعض نوعاً من الانصراف عن العبادة ، فعَنْ الْمُقَدَّامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » . (١)

وحثهم على تعلم أي حرفة أو صنعة تفهم وتمنعهم ، وتبعد عنهم ذلّ المسألة ، وشبح الفقر ، فعَنْ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : « قَالَ لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُرَعَةٌ لَحْمٍ » . (٢)

وألغى الإسلام ما كان سائداً في الجاهلية من احتقار بعض الحرف والمهن ، والاستخفاف بأصحابها ، كالنجارة ورعي الغنم ، فجعل كل حرفة مباحة حرفة شريفة ، وكل حرفة محرمة حرفة مهينة ، بغض النظر عن قيمتها بين الناس ، ونظرتهم إليها .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ » . (٣)

(١) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمل يده ، رقم (١٩٣٠) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، رقم (١٧٢٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ، رقم (٢١٠٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ». (١)

وقد قام بذلك عملياً، ليحث صحابته على البحث عن تجارة تغنيهم أو وظيفة تكفيهم ذلّ المسألة، فعن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟»، قال: بلى، جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء، قال: اثني بهما، قال: فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا أخذتهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً؟ قال رجل: أنا أخذتهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلِكَ واشتر بالأخرِ قدوماً فأتني به، فأتاه به فشدّ فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً، فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وبعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقرٍ مدقعٍ أو لذي غرمٍ مُفطعٍ أو لذي دمٍ موجعٍ». (٢)

وأوجد لهم حرفاً مباحة كالزراعة والصناعة والتجارة بأنواعها، مالم تتضمن محرماً أو تعين عليه، أو تساهم في نشره بين الناس.

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٣٧٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، رقم (١٣٩٨)، وحسنه الترمذي.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ». (١)

والى جانب اهتمامه بالزراعة اهتم بالتجارة وشجع عليها ورغب فيها بل جعل التجار بمنزلة الصديقين والشهداء، إذا برؤا وصدقوا.

وهو بذلك ﷺ وبتشجيعه لهم يهدف إلى إيجاد تجارة إسلامية، وسوق يتعامل بضوابط الشريعة الإسلامية، ينافس ويضاهي الأسواق التجارية - اليهودية والنصرانية - التي كانت سائدة في ذلك العصر، وتحوي فيها الكثير من المخالفات الشرعية، وليؤسس بنية اقتصادية قوية للمسلمين.

فسعى إلى إيجاد الأسواق الإسلامية ليغني الناس عن ارتياد غيرها من الأسواق، ويقلل من تعاملهم واعتمادهم في تجارتهم على غيرهم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ». (٢)

كما قرر العلماء أن تعلم العلوم والمهن فرض كفاية على المسلمين، ويأثم الجميع إذا أهملوا ذلك، وتهاونوا في تعلم أي علم من العلوم الضرورية، التي تلزمهم في حياتهم، ويصلحون بها شؤونهم.

يقول الإمام الغزالي: «أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في

(١) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، رقم (٢١٥٢).
 (٢) سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار، رقم (١١٣٠)، وقال عنه: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قوام أمور الدنيا، كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث، وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الآخرين؛ فلا تعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات، كالفلاحة والحياكة (النسيج) والسياسة، بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام لسارع الهلاك إليهم بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء، أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله». (١)

فما أحوجنا اليوم إلى إيجاد صناعات بديلة، تغني الناس عن الاعتماد على الصناعات الأجنبية، وتصرفهم عن شراء بضائعهم، واستهلاك سلعهم، وخاصة ممن ينصبون العداة للإسلام وأهله!

ولم يغفل أيضاً ﷺ جانب المعاملات المادية من بيع وشراء، فقد اعتاد العرب قبل الإسلام أنواعاً من البيوع والمعاملات، فأقرهم النبي ﷺ على بعضها، وحرّم عليهم البعض الآخر، مما فيه ضرر أو ظلم أو غش أو غرر، وأوجد لهم بديلاً يغنيهم عما حرّم عليهم.

فحرم عليهم بيع الخمر والخنزير والميتة، لما فيها من ضرر على البشرية، وما تسببه من آثار سيئة، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل يا رسول الله: أرايت شحوم الميتة فإنها يطلى

١- إحياء علوم الدين، للغزالي، ج ١، ص ١٥، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

بِهَا السُّفْنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصِيحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: لَا هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتِلِ اللَّهَ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَأَ حَرَمٌ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ» (١).

ونهاهم عن البيوع التي تضر بالغير، أو يكون فيها تعدٍ على حقه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَبِيعَ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِيَّانِهَا». (٢)

كما منعهم من البيوع التي تؤدي إلى إثارة الخصام والعداوة بين المسلمين، كالتي تتضمن غشاً أو غرراً، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «نَهَى عَنْ بَيْعِ حَبْلِ الْحَبْلَةِ، وَكَانَ يَبِيعُ يَتْبَاعُهُ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ الرَّجُلُ يَتَّاعُ الْجَزُورَ إِلَى أَنْ تُنْتِجَ النَّاقَةُ ثُمَّ تُنْتِجُ الَّتِي فِي بَطْنِهَا». (٣)

وعن أَبِي سَعِيدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُنَابَذَةِ، وَهِيَ: طَرَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ بِالْبَيْعِ إِلَى الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ يَقْلِبَهُ أَوْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَنَهَى عَنِ الْمَلَامَسَةِ، وَالْمَلَامَسَةُ: لَمَسَ الثَّوْبَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ». (٤)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «نَهَى عَنِ الْمَزَابِنَةِ، وَالْمَزَابِنَةُ: اشْتِرَاءُ الثَّمَرِ بِالثَّمَرِ كَيْلًا وَبَيْعُ الْكُرْمِ بِالزَّيْبِ كَيْلًا». (٥)

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، رقم (٢٠٨٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه، رقم (١٩٩٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الغرر وحبل الحبله، رقم (١٩٩٩).

(٤) المرجع السابق، باب بيع الملامسة، رقم (٢٠٠٠).

(٥) المرجع نفسه، باب بيع المزابنة، رقم (٢٠٣٦).

ولكنه ﷺ رخص لهم في أنواع من البيوع المحرمة، لحاجتهم إليها، كبيع العرايا، وهو: «بيع ثمر النخلة الجديد بالتمر القديم». (١)

فعن سهل بن أبي حثمة أن رسول الله ﷺ «نهى عن بيع الثمر بالتمر ورخص في العربية أن تباع بخرصها يأكلها أهلها رطباً». (٢)

كما نهاهم عن بيع ما لا يملكه الإنسان، فعن حكيم بن حزام قال: «نهاني رسول الله ﷺ أن أبيع ما ليس عندي». (٣)

ورخص لهم ذلك بشروط معينة، وتسمى هذه الصورة بالسلم، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين، فقال: من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم». (٤)

يقول ابن المنذر: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم، أن السلم جائز، ولأن بالناس حاجة إليه، لأن أرباب الزروع والثمار والتجارات، يحتاجون إلى النفقة على أنفسهم أو على الزروع ونحوها، حتى تنضج، فجوز لهم السلم دفعاً للحاجة». (٥)

كما أرشدهم ﷺ إلى الطرق البديلة عن البيوع المحرمة، وحرص على

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، د/ وهبة الزحيلي، ج ٤، ص ٤٣٩، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.

(٢) صحيح البخاري، باب بيع الثمر على رؤوس النخل...، رقم (٢٠٤٢).

(٣) سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك، رقم (١١٥٤)، وقال عنه: حديث حسن.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب السلم، رقم (٣٠١٠).

(٥) الفقه الإسلامي وأدلته، د/ وهبة الزحيلي، ج ٤، ص ٥٩٨.

تعليمهم إياها، ليستغنوا بها عن المحرم، فعن أبي سعيد قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَمْرٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا التَّمْرُ؟ مِنْ تَمْرِنَا! فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْنَا تَمْرَنَا صَاعَيْنِ بِصَاعٍ مِنْ هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: هَذَا الرِّبَا، فَرُدُّوهُ ثُمَّ بَيْعُوا تَمْرِنَا وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هَذَا». (١)

وأباح لهم ممارسة البيوع التي لا تحتوي على محرم، كبيع ما أحله الإسلام من الطيبات التي ينتفع بها.

ووضع قواعد عامة تضبط جانب المعاملات، وتحدد مساره، وتفتح المجال أمام المسلمين لاستحداث طرق جديدة تناسب عصرهم، وتلبي متطلباتهم، وتساعدهم على إيجاد بدائل تغنيهم عن الصور المحرمة في التبادلات المالية على مر الأزمان.

كما اهتم بجانب الطب اهتماماً كبيراً، فأوجد - عليه الصلاة والسلام - لأمته طرقاً للعلاج بديلة عن الطرق المحرمة.

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «احتجم رسول الله ﷺ حَجْمَهُ أَبُو طَيْبَةَ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خِرَاجِهِ، وَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ» (٢)

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمي عن الكي». (٣)

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، رقم (٢٩٨٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب حل أجرة الحجامة، رقم (٢٩٥٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، رقم (٥٢٤٨).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: «قَدِمَ أَنَسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ فَاجْتَوُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَالْبَانِهَا، فَاذْطَلَقُوا فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَأْفُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الْخَبْرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ فِقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يَسْقُونَ، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَهَؤُلَاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (١)

ومنعهم من التداوي بأدوية محرمة، ونهاهم عن استخدام أمور غير مشروعة، فعن علقمة بن وائل عن أبيه وأئله الحُزرمي: «أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجَعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَهُ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» (٢)

كما حثهم ﷺ على الاهتمام بأمر التداوي من الأمراض، والبحث في علاجها وإيجاد أدوية لها، تكون بديلاً عن الأدوية المحرمة، فعن أسامة بن شريك قال: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ» (٣)

ولم يشغل ﷺ عن أمور أسرته وما تحتاج إليه من أمور دينها ودنياها، بل أولاهها اهتماماً كبيراً، ودلها على ما ينفعها ويعينها على قضاء حوائجها،

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها، رقم (٢٢٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر، رقم (٣٦٧٠).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، رقم (١٩٦١). وقال عنه: حديث حسن صحيح.

وأوجد لها البدائل التي تغنيها وتسد حاجتها عند عدم تمكنه - صلى الله عليه وسلم - من تلبية طلبها، فعن ابن أبي ليلى قال: «حَدَّثَنَا عَلِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبِيًّا فَاَنْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: أَلَا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمْ تُكْبِرًا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ». (١)

وقد وسع الشارع الحكيم للإنسان دائرة المباح، لعلمه بظروفه وما يطرأ عليه من مستجدات، ولهذا نراه ﷺ يحذر أصحابه من كثرة المسألة عن الأحكام من غير حاجة، إشفاقاً عليهم، وخوفاً من أن يضيق عليهم دائرة المباحات في الشريعة الإسلامية، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: حَظَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلُّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذُرُونِي مَا تَرَكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فِدَعُوهُ». (٢)

وبهذا يترك ﷺ المجال واسعاً، لاستحداث بدائل مرضية ضمن دائرة المباحات، قد يحتاج إليها الإنسان في أي عصر من العصور، لتغني الناس عن المحرمات، وتصرفهم عنها.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، رقم (٣٤٢٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم (٢٣٨٠).

الفصل الثاني

منهج الدعاة في طرح البديل

المبحث الأول : في سيرة الخلفاء الراشدين

المبحث الثاني : في سيرة الدعاة والمصلحين

المبحث الأول
في سيرة الخلفاء الراشدين
رضوان الله عليهم

في سيرة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

لقد تميز عهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين - بالسير على ما كان عليه ﷺ، فكانوا متمسكين بسنته غاية التمسك، لا يحدون عنها قيد شعرة، زاهدين في الدنيا، مبتعدين عن زخارفها، مقتفين آثاره ﷺ، حذرين من الوقوع في المحرمات، متجنبين الشبهات، منكرين على ما أحدث الناس من أمور بعده - عليه الصلاة والسلام -، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ». (١)

فلم تنتشر المنكرات في عصرهم، ولم تظهر الفتن في عهدهم، إلا في الفترة الأخيرة من الخلافة الراشدة.

ولذلك لم ينشغلوا في إيجاد البدائل عن الأمور المحرمة، بقدر ما كانوا مشغولين في إيجاد بدائل عن أمور واجبة يحتاجون إليها، وفي ابتكار حلول لمسائل مستجدة، فأوجدوا أموراً تعدُّ من الضروريات لقيام هذه الأمة أو الحاجيات التي لا غنى لهم عنها.

فكان عصرهم من أزهى العصور وأحسنها، ففيه توسعت الفتوحات الإسلامية، وانتشر الدين الإسلامي في بقاع الأرض، وخيم العدل والمساواة بين الناس، والقصص في ذلك مشهورة، حتى أصبحت سمة بارزة على جبين التاريخ، لا ينكرها عدو، ولا يجحدها صديق.

١ - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من محقرات الذنوب، رقم (٦٠١١).

فبعد غياب سيد المرسلين، زهادي الناس إلى الصراط المستقيم، وحقوقه بالرفيق الأعلى ﷺ، عاش الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.. نثرة.. جديدة من الزمن، لم يعهدوها من قبل، فقد تعودوا وجود الرسول الكريم ﷺ بينهم، المعصوم عن الخطأ، والمسدد بالوحي، يوجد لهم التشريع المناسب، ويبين لهم ما يشكل عليهم، ويرشدهم إلى ما فيه صلاح دينهم وديناهم.

فقد كان رحيله - عليه الصلاة والسلام - صدمة قوية، وحدثاً قاسياً، على الصحابة جميعاً، حتى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لم يرض أن يقول بوفاته ﷺ في بداية الأمر، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: - يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طَبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالذِّي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدَيْقُكَ اللَّهُ الْمُوتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَيَّ رِسَالِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وَقَالَ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِرَنَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ». (١)

وبرحيله ﷺ أصبحت الدولة الإسلامية بلا حاكم يحكمها، ولا أمير يدير أمورها، فأسرع الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى إيجاد خليفة لرسال

١ - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت، رقم (٣٣٩٤).

الله ﷺ، يتولى الحكم فيهم، ويقوم على شؤون الناس، ويرعى مصالحهم، ويحفظ لهم هذا الدين، وينفذ أحكامه ويسوس الدنيا به، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «..... واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكرٍ وعمرُ بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمرُ يتكلم، فأسكته أبو بكرٍ، وكان عمرُ يقول: واللّه ما أردتُ بذلك إلا أنّي قد هيأتُ كلاماً قد أعجبني، خشيتُ أن لا يبلغه أبو بكرٍ، ثم تكلم أبو بكرٍ، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ، فقال حبابُ بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فقال أبو بكرٍ: لا ولكننا الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ، هم أوسطُ العربِ داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمرُ: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسولِ الله ﷺ، فأخذ عمرُ بيده فبايعه وبايعه الناسُ، فقال قائلٌ: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمرُ: قتلته الله». (١)

وبهذا أوجد الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - خليفة يلي أمور المسلمين، ولم يشغلهم هول المصيبة التي وقعت على الأمة الإسلامية بوفاته ﷺ، بل بادروا إلى مبايعة الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وذلك لعلمهم بخطورة الاختلاف في مثل هذه الأمور، والتنازع في أمر الحكم، ووعيمهم بما قد يقع من فتن جراء تأجيل هذا الأمر وإهماله، ولمصلحة دينية قبل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - هذا الأمر، ولمصلحة دينية بتَّ عمر الفاروق - رضي الله عنه - هذا الأمر، وقطع الاختلاف بمبايعة أبي بكر - رضي الله عنهم جميعاً - .

١ - المرجع السابق، تنمة الحديث.

ومما يدل على أن أبا بكر - رضي الله عنه - تولى أمر هذه الأمة لمصلحة دينية، ما أخرجه ابن راهويّة والعدنيّ والبغوي وابن خزيمة عن رافع بن أبي رافع قال: «لما استخلف الناس أبا بكر - رضي الله عنه - قلت: صاحبي الذي أمرني أن لا أتأمر على رجلين!، فارتحلت فانتهيت إلى المدينة، فتعرّضت لأبي بكر فقلت له: يا أبا بكر أتعرفني؟ قال: نعم، قلت: أتذكر شيئاً قلته لي، أن لا أتأمر على رجلين وقد وُكيت أمر الأمة؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قبض والناس حديثو عهد بكفر، فخفت عليهم أن يرتدوا وأن يختلفوا، فدخلت فيها وأنا كاره، ولم يزل بي أصحابي، فلم يزل يعتذر حتى عذرتة». (١)

وبهذا استقر أمر المسلمين، وحفظ الله تعالى الأمة المحمدية من الاختلاف والتفرق، حيث أوجد الصحابة - رضوان الله عليهم - شكلاً من أشكال الترشيح والانتخاب لمن يلي أمر المسلمين، وذلك بالتشاور فيما بينهم، واختيار الأصلح في رأيهم.

ويلاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية، لم يبينا أسلوباً محدداً، أو طريقة معينة لاختيار الخليفة، بل كان الخطاب موجهاً إلى عموم المسلمين، بالحث على استخدام الشورى في أمورهم، والحكم بالعدل بين الناس، وطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، يقول سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾. (٢) وقوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

(١) حياة الصحابة، للكاتبهلهوي، ج ٢، ص ٢٤، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

(٢) سورة النساء، آية رقم (٥٨).

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١﴾. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. (٢)

وروى النبي ﷺ لم يعين أحداً من أصحابه، يتولى من بعده أمر الأمة الإسلامية تحديداً صريحاً، اللهم إلا بعض الإشارات التي اعتبرها العلماء تلميحاً من النبي ﷺ بذلك، كأمره أبا بكرٍ - رضي الله عنه - أن يؤمَّ الناس في الصلاة، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لما نفل رسولُ الله ﷺ، جاء بلالٌ يُؤذنه بالصلاة، فقال: مُرُوا أبا بكرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أبا بكرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ: مُرُوا أبا بكرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ حِفْصَةَ: قُولِي لَهُ إِنْ أبا بكرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ، مُرُوا أبا بكرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً فَقَامَ يَهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرَجُلَاهُ يَخْطَانِ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بكرٍ حَسَهُ ذَهَبَ أَبُو بكرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بكرٍ، فَكَانَ أَبُو بكرٍ يُصَلِّيَ قَائِماً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّيَ قَاعِداً يُقْتَدِي أَبُو بكرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بكرٍ - رضي الله عنه -». (٣)

(١) سورة الشورى، آية رقم (٣٨).

(٢) سورة النساء، آية رقم (٥٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الرجل يأتُم بالإمام ويأتُم الناس بالمأموم، رقم (٦٧٢).

والتأمل في سيرة الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - يرى أنهم أوجدوا ثلاث طرق لاختيار ولي الأمر .
 أولها : الطريقة الاستشارية ، وبها تم اختيار الخليفة الأول لرسول الله ﷺ ، أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، فقد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وتشاوروا فيما بينهم ، وتم ترشيح الخليفة بعد تبادل الآراء ، وقد مر ذكر الحديث الذي يحكي اجتماعهم .

ثانيها : طريقة العهد من الخليفة إلى شخص آخر من بعده قبل وفاته ، وبها تم اختيار الخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وذلك بعد مشاورة الخليفة أبي بكر الصديق الصحابة في الأمر ، حيث قال : « أيها الناس ، قد حضرني من قضاء الله ما ترون ، وإنه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ، ويقاتل عدوكم ، ويأمركم ، فإن شئتم اجتهدت لكم رأيي ، والله الذي لا إله إلا هو لا آلوكم في نفسي خيراً ، فبكني وأبكني الناس ، وقالوا يا خليفة رسول الله ﷺ أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا ، قال : سأجتهد لكم رأيي ، وأختار لكم خيركم إن شاء الله » . (١)

وتذكر كتب التاريخ وصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في هذا الأمر ، جاء فيها : « دعا أبو بكر عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - فقال : اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب .

(١) الخلفاء الراشدون - أعمال وأحداث - ، د/ أمين القضاة ، ص ٤٦ ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ م . وانظر الإمامة والسياسة ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، ج ١ ، ص ٢٥ ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق الدكتور طه محمد المزيني .

إني أستخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم دعا أبو بكرٍ عمر - رضي الله عنهما - خالياً فأوصاه بما أوصاه به، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر - رضي الله عنه - يديه فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأياً، فوليت عليهم خيراًهم وأقواهم عليهم» (١)

ثالثها: حصر الخلافة في مجموعة من قادة الناس وساداتهم، وتعيين أحدهم عن طريق الشورى بينهم، وهذه الطريقة أوجدها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فعن عمرو بن ميمون الأودي قال: «رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَذْهَبَ إِلَيَّ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقُلْتُ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ثُمَّ سَأَلَهَا أَنْ أَدْفِنَ مَعَ صَاحِبِي، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَاؤَثَرَنَهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَهُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنْتُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ، فَإِذَا قَبِضْتُ فَأَحْمِلُونِي ثُمَّ سَلَّمُوا ثُمَّ قُلُ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتُ لِي فَادْفِنُونِي وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفْسِ الَّذِينَ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَمَنْ اسْتَخْلَفُوا بَعْدِي فَهُوَ الْخَلِيفَةُ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَسَمَى عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ٣، ص ١٤٢، دار التحرير للطبع والنشر.

وَالزُّبَيْرَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَوَلَجَ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ، كَانَ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ اسْتَخْلَفْتَ فَعَدَلْتَ ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، فَقَالَ: لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي وَذَلِكَ كَفَافًا لِي وَعَلَيَّ وَلَا لِي، أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ» (١).

وتذكر رواية أخرى كيف تمت البيعة لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وذلك بعد التشاور فيما بينهم ، فعن عمرو بن ميمون «... فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف ، قال : ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، فسَمَى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَالَ : يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةَ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنَ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أَمَرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَعَزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ ، ... فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ طَلْحَةُ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ ، وَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَيُّكُمْ تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَجَعَلْهُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لِيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأَسْكَتَ الشَّيْخَانِ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَفْتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ ، وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلَ عَنْ أَفْضَلِكُمْ ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ، رقم (١٣٠٥) .

قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي
الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَعْنٌ أَمَرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَعْنٌ أَمَرْتُ عُثْمَانَ
لَتَسْمَعَنَّ وَلَتَطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ:
ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ فَبَايَعَهُ لَهُ عَلِيٌّ وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ» (١).

وكان عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قد قام باستطلاع سري
لمعرفة رأي الناس، «حيث خرج متلثماً، فكان لا يسأل أحداً عن رأيه فيمن
يكون الخليفة إلا ويقول عثمان» (٢).

وبهذا نرى كيف أوجد الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - طرقاً
وأشكالاً لاختيار ولي الأمر، واهتموا بإيجاد بدائل متعددة في ذلك،
فحافظوا على كيان الأمة الإسلامية، وأبعدوها عن الفتن التي تهدم وحدتها،
وتفرق جمعها، فقاموا بأداء هذا الواجب خير قيام، وسنوا للأمة الإسلامية
أساليب عدة يستفيدون منها على مر العصور.

ويُعدُّ من أهم البدائل التي أوجدها الصحابة - رضوان الله عليهم - ، بعد
وفاة النبي ﷺ أيضاً، جمع القرآن الكريم على عهد أبي بكر الصديق - رضي
الله عنه - ، بدلاً عن تلك الصحف المنتشرة هنا وهناك، فقد كانت فكرة جريئة
من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، خوفاً منه على ضياع القرآن بضياع
تلك الصحف، وموت الحفاظ.

وقد اعتبرها الخليفة أبو بكر - رضي الله عنه - استحداثاً في الدين،

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان - رضي الله
عنه - ، رقم (٣٤٢٤).

(٢) الإمامة والسياسة، للدينوري، ص ٣٠.

وإضافة أمر لم يكن على عهد الرسول ﷺ، إلى أن اتضح له الأمر بعد مراجعة عمر. رضي الله عنهم جميعاً. له في ذلك الأمر.

ويروي لنا الإمام البخاري - رحمه الله - ما جرى بين الصحابة - رضوان الله عليهم - في ذلك (فعن ابن السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ قَالَ: « أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخَشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأُرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِدَلِّكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا نَتَهَمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتافِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ إِلَى آخِرِهِمَا، وَكَانَتْ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ. (١)

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٣١١

وبهذا يتضح لنا صعوبة الأمر الذي تقدم به عمر- رضي الله عنه - ، وكيف أقنع أبا بكر- رضي الله عنه - ، الذي وقف معترضاً على ذلك في بداية الأمر ، بضرورة ذلك البديل وأهميته ، الذي فيه حفظ للأمة الإسلامية من الضياع ، ولدستورها من التشتت والعبث به ، بوصفه لجمع القرآن الكريم بأنه خير للأمة .

فيا عجباً ممن يصر على الرأي الأول لأبي بكر- رضي الله عنه - في أيامنا هذه ، ويعتبر كل جديد بدعة مستحدثة في الدين ، وينكر ذلك باعتباره منكراً من أعظم المنكرات ، ظناً منه بأنه يقوم بالمحافظة على الدين الإسلامي من التحريف والتغيير !! مع علمه برجوع أبي بكر الصديق عن رأيه ، واقتناعه برأي عمر- رضي الله عنهم جميعاً - .

يقول الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني في حديثه عن هذه القضية : «هكذا وقف الصحابة رضوان الله عليهم من أخطر قضية مرت عليهم بعد وفاة الرسول ﷺ تتعلق بكتاب الله ، فوازنوا موازنة دقيقة بين الأصل الذي كان عليه القرآن في زمنه ﷺ وبين الضرورة الملحة والمصلحة الراجحة التي استجدت بعد وفاته ، فحققوا بموقفهم هذا أكبر خصيصة من خصائص دعوتهم وهي الأصالة والمعاصرة على وجهها الصحيح . . . وما من شيء يعبر عن الموازنة بين الأصالة والمعاصرة تعبيراً دقيقاً مثل هذا الأصل العلمي الذي اعتمده العلماء المجتهدون في اجتهاداتهم ، والذي أساء فهمه وتطبيقه عدد من المتأخرين والمعاصرين» . (١)

وقد استفاد الصحابة- رضوان الله عليهم - من فعل الخليفة أبي بكر وعمر-

(١) الأصالة والمعاصرة، . محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٠٩، ١١٠ .

رضي الله عنهما - ، فلم يتردد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من توحيد المصاحف ، خشية من اختلاف الناس وتنازعهم في أمر القرآن ، بعد أن أخبره حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - بذلك ، فعن أنس بن مالك : «أَنَّ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَحْجِ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَفْزَعَ حُدَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُدَيْفَةُ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَقْفٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا ، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ» . (١)

ويتضح أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يتردد أبدا في ذلك ولم يعارض هذه الفكرة ، وذلك لأن جمع المصحف في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه كان تمهيدا لعثمان رضي الله عنه في عمله هذا ، فليس الأمر جديداً يحتاج إلى نقاش إنما اعتمد على فعل الخليفة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وستتبعهما في الأمور المستجدة .

وقد أيده الصحابة رضوان الله عليهم على فعله هذا ، فعن عمر بن سعيد

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، رقم ، ٤٦٠٤

قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان). (١)

ومع هذا لم يسلم الخليفة عثمان رضي الله عنه من الانتقاد والإساءة، فقد روى سديد بن غفلة عن علي رضي الله عنه أنه قال: (يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ). (٢)

ويا ترى ماذا كان سيحدث لو أن أبا بكر استمسك برأيه باسم الثبات على ما كان في عهده رضي الله عنه، ولم يوجد للأمة بديلاً عن تلك الصحف المعرضة للضياع، ولو أن عثمان أبى توحيد المصاحف ولم يجمع الناس على مصحف واحد، معللاً ذلك بالسبب نفسه؟!!

إن وعي الصحابة رضوان الله عليهم بخصائص دينهم ومعرفتهم بمصالح أمتهم، حفظ للمسلمين جميعاً مصدر تشريعهم الأول كتاب الله عز وجل.

فحري بنا أن نستفيد من فقههم ونتبع طريقهم، ونسير على سنتهم، ونعي واقع أمتنا وما تحتاج إليه من بدائل مع مرور الأزمنة واختلاف الأمكنة، لأن أي خلل في تقدير مصالح الأمة في الأمور المستجدة، والتكاسل عن تلبية متطلباتها، وإيجاد البدائل المناسبة لعصرها، قد يؤدي إلى ضرر بالغ ربما لا يستطيع العلماء تعويضه مدئ الدهر، وكم عانى الإسلام والمسلمون من ذلك!!

كما وجه الصحابة رضوان الله عليهم - اهتمامهم إلى إيجاد أنظمة إدارية

(١) تفسير أحكام القرآن، للقرطبي، ص ٥٤، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧.

(٢) المرجع السابق.

حديثه، تعطي كل مدينة من المدن الإسلامية استقلالية في شؤونها، وحرية في تصريف أمورها، وقد بدت الحاجة إلى ذلك ملحّة بعد توسع الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب، وخاصة في عهد الفاروق - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، فلم يعد بمقدور الخليفة متابعة شؤون المسلمين ومصالحهم وما يعترضهم من مشاكل وصعوبات، وذلك لانشغاله في أمور الفتوحات الإسلامية والتخطيط لها.

فأسس نظام ولاية الأمصار، وعيّن على كل مِصر والياً أو أميراً، يعتبر بديلاً عن الخليفة في إدارته لشؤون ولايته، «وكان للأمير في البداية سلطان الخليفة في مقاطعته وفي يده السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، لكن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فصل هذه السلطات بعضها عن بعض وترك للأمير السلطة التنفيذية وسلطة الإمامة في المسجد». (١)

وإلى جانب اهتمامهم بالجانب الإداري، وتنظيمهم لأمور الدولة الداخلية، كان اهتمامهم بالجانب العسكري والسياسي أكثر بروزاً، وذلك لاهتمامهم بتسيير الجيوش ونشر الإسلام في أنحاء المعمورة.

فقد كانت المدينة المنورة مقر القواعد العسكرية في بداية الخلافة الراشدة، منها يكون إرسال السرايا والجيوش، إلى أن توسعت الخارطة السياسية في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - توسعاً كبيراً، فعمل على إيجاد قواعد عسكرية بديلة تحافظ على أمن واستقرار البلاد وتكون منطلقاً للجيوش الفاتحة، فاختار البصرة والكوفة لذلك.

(١) انظر الدولة الأموية، د: يوسف العش ص ١٧، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية،

وقد سارت من هذه القواعد جيوش عديدة، منها:
 أ- جيش الأحنف بن قيس إلى خراسان، سنة (١٨) هـ، ومنها إلى
 يسابور، ثم إلى سرخس.
 ب- جيش مجاشع بن مسعود السلمي إلى سابور.

ت- جيش عثمان بن أبي العاص إلى اصطخر، ثم لحق به أبو موسى
 الأشعري، فافتتحا شيراز، وأرجان. (١)

ومن البدائل العسكرية التي أوجدها الخليفة عثمان بن عفان- رضي الله
 عنه- بطلب من معاوية- رضي الله عنه- لغزو (قبرص)، الأسطول البحري.

وكان قد ألحَّ على الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فلم يستجب
 لطلبه، خوفاً على أرواح المؤمنين، وذلك بعد استشارة عمر بن الخطاب لعمر و
 ابن العاص- رضي الله عنهما-، حيث كتب إليه: «صف لي البحر وراكبه،
 فإن نفسي تنازعني إليه، فكتب إليه عمرو- رضي الله عنه-: إنني رأيت خلقاً
 كبيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركذ طرق القلوب، وإن
 تحرك أزاع العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على
 عود، إن مال غرق، وإن نجابرق». (٢)

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية- رضي الله عنهما-: لا والذي بعث
 محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً». (٣)

وكان هذا الأسطول البحري وسيلة بديلة لتحقيق أمر واجب، وهو نشر

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٠، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧ م.

(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٨، أحداث سنة ٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٨.

الإسلام في البلاد التي تفصلهم عنها البحار، ولا يستطيعون الوصول إليها إلا بواسطتها.

إذ لم يكن عند المسلمين من الوسائل العسكرية ما تمكنهم من إيصال دعوتهم إلى تلك الأماكن، سوى الطرق المستخدمة في الغزوات البرية.

وقد كان ذلك فاتحة خير للإسلام والمسلمين، ووسيلة مهمة لغزو الأعداء والدفاع عن حمى الإسلام، وظلت وسيلة هامة لا يستغنى عنها حتى في أيامنا هذه.

كذلك اهتم الخلفاء الراشدون بالجانب المالي والاقتصادي، حيث أرادوا أن يستقل المسلمون في جميع شؤونهم عن غيرهم، ولا يكونوا تبعاً لغير المسلمين في أمور حياتهم.

فعمل عمر - رضي الله عنه - على إيجاد عملة يتداولها المسلمون، بدلاً من النقود القيصرية والكسروية التي كانوا يتعاملون بها من قبل، وميزها عن غيرها بأن نقش على بعضها (الحمد لله) و (لا إله إلا الله) و (محمد رسول الله).

وبهذا نرى الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - لم ينشغلوا في عصرهم بالعمل على إيجاد بدائل عن المحرمات - حيث لم تنتشر في عصرهم - ، بل تفرغوا للعمل على إظهار استقلالية المسلمين في أغلب نواحي حياتهم، وذلك بإيجاد حلول وبدائل جديدة تصطبغ بالصبغة الشرعية.

وكان جل اهتمامهم موجهاً لحماية المسلمين من الخطر الذي قد يلحق بهم من جراء توسعهم في الفتوحات، واحتمال تأثرهم بحياة وعادات غير المسلمين، فحرصوا أشد الحرص على إظهار شخصية المسلم المستقلة والمستغنية.

المبحث الثاني
منهج طرح البديل
في سيرة الدعاة والمصلحين

منهج طرح البديل في سيرة الدعاة والمصلحين

توطئة

شرع الله - سبحانه وتعالى - لعباده شرائع وأحكاماً، تهذب نفوسهم، وتقوي صلتهم بربهم، وتنظم شؤون حياتهم .

فلم يترك الشارع الحكيم جانباً من جوانب الحياة إلا قام بتحديد مساره، وتقعيد قواعده له، وتنظيم ما يتعلق به .

وجعل هذا الدين كاملاً لا يشوبه خلل أو نقصان، شاملاً لجميع جوانب الحياة التي يحتاج إليها البشر على اختلاف أجناسهم وطبائعهم، صالحاً لكل زمان ومكان، يقول سبحانه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (١) .

ووسع فيه دائرة المباحات التي تساعد على تلبية متطلبات المجتمع البشري، وتوفر احتياجاته، وتفتح المجال أمام المصلحين لإيجاد بدائل ناجحة . كما حث الناس على الدعوة إلى هذا الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل وصف الخيرية لهذه الأمة ملازماً لها ما دامت قائمة بالأمر ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة المائدة، آية رقم (٣) .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١١٠) .

ومن فضل الله على هذه الأمة أن قيِّض لها مصلحين ومجددين ليعالجوا اعوجاجها، ويحسنوا من سلوكياتها، ويوجدوا البدائل الصالحة التي يحتاجون إليها.

ولم تخلُ الأمة منهم على مر العصور والأزمان، كلُّ بحسب اختصاصه واهتمامه.

ومن خلال استقرار سيرهم وإنجازاتهم، حدد لهم بعض العلماء صفات تميزهم عمَّن سواهم منها (الذهن الصافي، والبصر النافذ، والفكر المستقيم، والقدرة النادرة على تبين سبيل القصد بين الإفراط والتفريط ومراعاة الاعتدال بينهما، والقوة على التفكير المجرد من تأثير الأوضاع الراهنة والعصبيات القديمة الراسخة على طول القرون، والشجاعة والجرأة على مزاحمة سير الزمان المنحرف، والأهلية الموهوبة للقيادة والزعامة والكفاءة الفذة للاجتهاد ولأعمال البناء والإنشاء... (١)).

والأمة اليوم أشد حاجة إليهم، بعد أن آلت حالتها إلى ما نرى، من انتشار الفساد بثتى صورته، الفكري الاقتصادي والاجتماعي والإعلامي وغيره.

إن هذا المبحث يلقي الضوء على جهود الدعاة والمصلحين والعاملين في سلك الإصلاح والتغيير، ويبرز أنشطتهم وأعمالهم، ويوضح مظاهر الانحرافات التي عاينوها وعاشوها في مجتمعاتهم، ويعمل على إيجاد بدائل ناجحة لعلاج الواقع الذي آلت إليه المجتمعات الإسلامية.

(١) تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، لأبي الأعلى المودودي، ص ٥٢، دار الفكر، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨ م.

منهج طرح البديل في سيرة الدعاة والمصلحين

لما كان المبحث يتحدث عن جهود الدعاة والمصلحين، وما يقدمونه من بدائل معاصرة لهذه الأمة، حفاظاً على هويتها وشخصيتها الإسلامية، فقد حرصت على الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، والوقوف على أعمالهم وإنجازاتهم، وذلك من خلال لقاءات نسقتها معهم عملت فيها على إظهار بعض الصور والأمثلة للبدائل الشرعية المعاصرة في مختلف جوانب الحياة.

ومن أكثر هذه الجوانب أهميةً، جانب الفكر والمفاهيم في المجتمع الإسلامي، حيث يعدُّ من أبرز ما تُعنى به الأمة الإسلامية، ومن أهم ما تميزت به عن غيرها.

وهو من الأهمية بمكان، إذ بانحراف هذا الجانب وعدم وضوح منهجيته تنتشر المظاهر السلبية في المجتمعات الإسلامية على اختلاف أنواعها وصورها، وتصعب في هذه الحالة معالجة الاغوجاج في أي مجتمع من المجتمعات، وتغيب عن الساحة الاهتمام بإيجاد البدائل والحلول الصالحة للتطبيق، التي تسعى لتحقيق الهدف المنشود منها، فلا يتصور وضع حل مناسب لقضية ما بدون فكر ناضج، ومفهوم واضح، ووعي كامل بالواقع المعاصر.

يقول الدكتور عبدالكريم بكار: (إصلاح الجوانب الحياتية المختلفة متوقف على إصلاح الفكر، على حين أن إصلاح الفكر لا يتوقف على أي شيء آخر، مما يعطيه أولوية البدء).^(١)

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د: عبد الكريم بكار، ص ٦١، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

ولذا نرى النبي ﷺ اهتم بالأمر غاية الاهتمام، فركز - عليه الصلاة والسلام - في بداية دعوته على هذا الجانب، وعمل على تصحيح الفكر، وتعديل المفاهيم المنتشرة بين الناس في مختلف جوانب الحياة.

ومن الممكن تقسيم الانحرافات في الجانب الفكري إلى ثلاثة أقسام: (الانحراف في المفاهيم العقدية، والمفاهيم العبادية، والمفاهيم الاجتماعية والأخلاقية).

فقد صار الإيمان عند بعض المسلمين قولاً باللسان، لا يصاحبه عمل يصدقه، حتى غابت آثاره في حياة كثير منهم، فترى عدم الرضا بالقضاء والقدر أمراً منتشرأ، والمساس بالذات الإلهية وبالرسل الكرام شائعاً، والانغماس في ملذات الدنيا والجري وراء متعتها واضحاً.

بعث ﷺ في وقت انتشرت فيه الضلالات، وعبدت الأصنام والشهوات، وظهرت فيه الشركيات، ومع هذا كله عالج الأمر الأهم بحكمة وهمة، فعرفهم بالإله الواحد الأحد بدلاً عن آلهتهم المتعددة، «كان الاهتداء إلى الحق هائل الأثر في كل جوانب حياتهم، لقد زالت لتوها كل الأرباب الزائفة التي كانت تحتل قلوبهم وأرواحهم وواقع سلوكهم، ولم يعد يشغل تلك القلوب والأرواح إلا عبادة واحدة، لله الواحد لا شريك له، وسقط مع تلك الأرباب الزائفة كل ما كان متعلقاً بها من أعراف، وكل ما كان حولها من اهتمامات»^(١).

كما امتد الانحراف إلى مفهوم العبادة، حيث انحصرت في الشعائر

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، ص ٣٧، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة،

والفرائض التعبدية، حتى انقلبت هذه العبادات إلى عادات ألفها الأجيال، دون أن يظهر لها أثر في واقعهم^(١)، ففريضة الصلاة مثلاً، ركعات يؤديها المسلم على عجل، بدافع العادة، لا تمنعه من حرام ولا تردعه عن فاحشة، وتنتشر هذه الصورة نفسها في أغلب المجتمعات الإسلامية، فقد تقصدت مرة وأنا في زيارة لإحدى الدول الإسلامية، أن أتجول في إحدى الحدائق العامة، لدراسة حال مجتمعها، ومدى التزامه وانضباطه السلوكي، فسررت كثيراً عندما رأيت اهتماماً كبيراً وحرصاً شديداً على الوضوء وأداء الصلاة على وقتها، فبمجرد سماع الأذان اجتمع الشباب للوضوء، حتى ازدحم المكان، ثم اصطفوا صفوفاً، بعد أداء ركعتي السنة، وصلى الرجال جماعة، وخلفهم النساء، وما إن انتهوا من الصلاة وأتموا التسبيحات، فوجئت ببعضهم يبحث له عن فتاة، ويجلس معها ويتبادلان الكلام بصورة مشبوهة.

فهل هذه الصلاة التي أمرنا بها؟ وهل هذا أثرها الذي أخبرنا الله عنه؟ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢).

لقد وصل الاختلال في هذا الجانب ببعض المسلمين أن يهتم بالنوافل ويتهاون بالفرائض، ويبتعد عن المكروهات ويقع في الموبقات، وظهر من يتحدث عن محبة الرسول ﷺ وهيأته وسلوكه أبعد ما يتصور عن هديه - عليه الصلاة والسلام - .^(٣)

(١) انظر «تحول العبادات إلى عادات» للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني.

(٢) سورة العنكبوت، آية رقم (٤٥).

(٣) انظر كتيب «التكريم الصادق بالاتباع الكامل» للشيخ: أحمد عز الدين البيانوني - رحمه الله

وكذلك الحال في جانب المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية فإنه لا يقل سوءاً عن سابقه، حتى أصبح المنكر منها معروفاً، والمعروف منها منكراً، وفقد كثير من أبناء هذه الأمة القدوة الأخلاقية في مجتمعهم، والأدهى والأمر أن تصبح القدوة التي يتطلع إليها العامة بعيدة عن القيم الأخلاقية.

ومن صور الانحراف في بعض الجوانب الاجتماعية، حرص كثير من المسلمين على الإنجاب والتكاثر وزيادة عدد الأولاد، دون الاهتمام بتنشئة الأولاد وتربيتهم، لفهمهم القاصر لحديث: «تَنَاقَحُوا تَكَثَّرُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١). فظنوا أن الكثرة في العدد هي الغاية التي يطلبها منهم النبي ﷺ، وهل هذه الكثرة التي لا تغني ولا تنفع - بل تُحَمِّلُ الأمة عِبْئاً - إضافياً هي التي سببها بها - عليه الصلاة والسلام - الأم يوم القيامة؟.

لقد أوضح الرسول ﷺ ذلك المفهوم لصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - عندما ظنوا أن سبب تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية، قلة عددهم، فلفت أنظارهم إلى أهمية النوعية والاهتمام بإيجادها فعن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَّمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (٢).

(١) قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، ورواه البيهقي.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم (٣٧٤٥)،

وسكت عنه.

لذا كان من الواجب أن يعمل علماء هذه الأمة ودعاتها على نشر المفاهيم الصحيحة، ودحض المفاهيم الخاطئة، وتعديل الأفكار المغلوطة، وإحياء بذور الإيمان في نفوس المسلمين، وزرع كلمة التوحيد في قلوبهم، ليعملوا بمدلولها ومقتضاها، ويهتموا بإيجاد القدوة الصالحة والبديلة التي تساعد على تفهم معنى العبادة والغاية منها، وتعينهم على التحلي بالأخلاق السامية والعادات الاجتماعية الحميدة.

ومن مظاهر الانحراف الفكري ظهور فرق على الساحة الدعوية تدعي النجاة لنفسها دون غيرها، وتُخرج المخالف لها في بعض القضايا العقدية وغيرها من دائرة أهل السنة والجماعة، بل وتصنف الناس من حولها في الفرق الضالة. (١)

ومن مظاهر الاضطراب في منهجية التفكير المعاصرة، وجود دراسات حول مشكلة ما لا تقوم على أسس علمية، وقراءة موضوعية، فتُصدِرُ حلولاً غير مجدية، وبدائل غير مرضية.

من هذه المظاهر (العفوية في التفكير) وغياب (الفكر المدروس). - إن صح التعبير - عن الساحة الدعوية، فلا يحتاج بعض دعاة اليوم - لحل معضلة من المعضلات - إلا إلى تفكير دقائق لا تتجال طرق ووسائل للعلاج، قد تزيد الأمر سوءاً والمشكلة تعقيداً، يقول الدكتور عبد الكريم بكار مؤكداً هذا المعنى: ومن اضطراب المنهجية لدينا: التعامل مع أعقد القضايا بالحدس والتخمين

(١) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة بين التوسيع والتضييق، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

والتأمل الذاتي والاعتماد على الأصول والمعطيات العامة بدل أن نقوم بفيض من البحوث والدراسات حولها). (١)

ومن آثار الاضطراب في التفكير أيضاً، الخلل في ترتيب الأولويات في العمل الدعوي، فترى من يشغل بالأمور الفرعية عن الأمور الأساسية، ومن يعالج المظاهر ويهمل المخابر.

كما أدى هذا الخلل في الفكر إلى السماح لبعض الأفكار الغربية بالتسلل إلى عقول بعض المفكرين، وإعجابهم بها، والسيطرة على طريقة تفكيرهم في أمور تخص المجتمعات الإسلامية، وخاصة عند من تربى في بلاد الغرب وتأثر بثقافتها، فظهرت على سبيل المثال الدعوة إلى تحرير المرأة، وتشجيع التبرج والسفور، واختلاط الرجال بالنساء في مجالات العمل والدراسة.

كما برزت في أوساط الدعوة ظاهرة (انفصال الفكر عن الفقه)، كصورة من صور الخلل في هذا الجانب، وما أفرزته من سلبيات في المجتمعات الإسلامية. ومن مظاهر هذا الفصل بين الفكر والفقه: (٢)

١ - صدور فتاوى عجيبة في الساحة الإسلامية، تعتمد على التفكير والتأمل، وعلى ما يسمى بروح الشريعة ومقاصدها، وتبتعد عن الأصول العلمية، والقواعد الفقهية.

(١) نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، د: عبد الكريم بكار، ص ٥٦، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

(٢) انظر محاضرة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، في المدينة المنورة، بتاريخ (١/شعبان/١٤١٠هـ).

٢- صدور مواقف علمية خاطئة من بعض الأحاديث النبوية الصحيحة ، وردّها بمجرد شبهات عقلية ، وتأمّلات فكرية .

٣- صدور مواقف عملية شاذة في صفوف الدعوة الإسلامية ، يتبناها بعض الدعاة ، ويدعو إليها ويتحرك بها ، دون أن يقيد حركته هذه بعلم صحيح ، أو ينضبط في سلوكه بضابط معتمد ، أو قاعدة شرعية ، كرفض البعض للاختلافات العلمية مطلقاً ، وإلزام الآخرين بما يراه ويختاره .

ولعل هذا الخلل في الفكر يعود إلى ضعف الثقافة الإسلامية العصرية ، وغياب الوعي بالأصول والمبادئ التي يعتمد عليها المسلم في حياته العلمية والعملية ، والجهل بالمساحات الواسعة في الشريعة الإسلامية التي منحها الله - سبحانه وتعالى - لتلبية احتياجات البشر ، وانعدام التربية الواعية التي تتقبل الرأي الآخر بصدر رحب ، وتتعامل مع الأمور الخلافية بسعة أفق ، وإغفال الموازنات الدعوية القائمة على ترتيب الأولويات .

لهذا كان لزاماً على أصحاب الرأي والدعاة والمختصين ، وضع خطط ودراسات لمعالجة ظاهرة انحراف الفكر واضطرابه ، وإيجاد بدائل تتمثل في تربية شباب الأمة على التعقل والاتزان والتريث ، وتزويدهم بالثقافة الإسلامية ، وإعطائهم شيئاً من المهمات ، وتدريبهم على تحمل المسؤوليات ، وإشراكهم في تقديم حلول للمشكلات .

كما لا بدّ من عودة النخبة من المفكرين والعقلاء المهاجرين إلى موطنهم ، على اختلاف تخصصاتهم وانتماءاتهم ، والاستفادة من مقترحاتهم وخبراتهم .

ولعل من أهم البدائل لعلاج هذه الظاهرة، تشكيل مرجعية فكرية من ذوي الخبرة، واعتمادها مجلساً استشارياً، تعرض عليه القضايا الفكرية بمختلف موضوعاتها، ليكون مكماً للمرجعية الفقهية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها من المرجعيات، التي تُكوّن مجموعها النواة لأهل الحل والعقد في العالم الإسلامي.

ومن الجوانب الأساسية التي اهتم الدعاة بإيجاد بدائل صالحة لها: الجانب الاقتصادي.

فقد وضع الشارع الحكيم قواعد أساسية لهذا الجانب لا مجال لتجاوزها أو التغاضي عنها، يقول الدكتور عباس حسني: «ومن أمثلة التطور النظام الاقتصادي الإسلامي، فقد أنزلت له الشريعة مبادئ عامة واسعة لا يجوز الخروج عليها، وهي في نفس الوقت تعطي الفرصة للعقل البشري لكي يجتهد مراعيًا ظروف الزمان والمكان، على شريطة ألا يخرج على نص في الكتاب أو السنة» (١).

وقد يسّر الله لي لقاءً مع الدكتور: عبد الباري محمد علي مشعل - حفظه الله -، (٢) سألته من خلاله عن النظام الاقتصادي في العصر الجاهلي، واختلافه بعد ظهور الإسلام، وكيف ظهرت المعاملات غير الشرعية في حياة

(١) الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، عباس حسني محمد، ص ٥٩، سلسلة دعوة الحق، ١٤٠٢هـ.

(٢) خبير استشاري في التدقيق والرقابة الشرعية في (بيت المشورة) بالكويت، وكبير مستشارين شرعيين في (شركة الراجحي المصرفية) بالرياض (سابقاً)، وكان اللقاء يوم الثلاثاء الموافق: ١٣/١/٢٠٠٤م.

المسلمين، ومدى اهتمام المصلحين بهذا الجانب، وما هي الصور البديلة التي قدموها لإغناء الناس عن السير وراء المعاملات المحرمة؟

فأوضح أن العصر الجاهلي لم يعتمد على الصناعة، وإنما ركز على التجارة والاستيراد والتصدير، وهذا ما تصوره السورة الكريمة بقوله عز وجل: ﴿لَا يَلْفُ إِلَّا قُرَيْشٌ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١)، كما كانت معاملاته لا تخلو من ظلم وغرر يؤثر بصورة مباشرة على مستواه المعيشي، فكان من أشد صور هذا الظلم والغرر: انتشار الربا في معاملاته، والميسر والقمار، وبيع الغرر مثل بيع المنازلة وبيع الملامسة وبيع رمية الحجر وغيرها، فلما أتى الإسلام حرم بعضها تحريماً كلياً - كالربا - ، وأباح بعضاً آخر بشروط - كبيع العرايا - وأقر بعضها - كسائر الشراكات والبيوع التي لا تتضمن غرراً .

ومن أمثلة ذلك إقراره شركة المضاربة وهي التي قام عليها عمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مال السيدة خديجة - رضي الله عنها -^(٢) .

كما حدد الشارع الحكيم قواعد ومبادئ لهذا الجانب، ليسير المسلمون على بصيرة ووضوح في معاملاتهم وتجارتهم، فحرم الربا وأباح البيع، ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة قريش .

(٢) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢، دار الجليل، بيروت .

(٣) سورة البقرة، آية رقم (٢٧٥) .

ونهى عن الغش وحذر منه ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (١).

كما جعل الأصل في المعاملات الإباحة، يقول سبحانه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٢)، فلا يحرم من المعاملات إلا ما دل نص شرعي على تحريمه، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٣).

ومع مرور الزمن ظهر على الساحة الاقتصادية الدولية اتجاهان جديان، أحدهما (الاتجاه الرأسمالي) الذي يهتم بالملكية الفردية على حساب المصلحة العامة، والآخر (الاتجاه الاشتراكي) الذي غلب المصلحة العامة على الملكية الخاصة، وظهر كردة فعل لسلبات النظام الرأسمالي، ولم يستطع أي منهما الجمع بين الملكية العامة والملكية الخاصة كما فعل التشريع الإسلامي فوازن بينهما غاية الموازنة، فلم يحرم الفرد من ملكيته الخاصة بل شجعه على امتلاك ما ينفعه، كما أنه احترم الملكية العامة التي لا غنى للدول والشعوب عنها.

وبين الدكتور عبد الباري مشعل: أن انتشار الخلل في الجانب الاقتصادي وشيوع المعاملات الربوية إنما بدأ في أوساط المسلمين بعد ظهور الاستعمار في البلاد الإسلامية، الذي جعل أساس معاملاته الاقتصادية قائمة على الاقتراضات الربوية.

(١) سورة الرحمن، آية رقم (٩).

(٢) سورة الجمعة، آية رقم (١٠).

(٣) سورة النساء، آية رقم (٢٩).

وعندها شعر الدعاة والمصلحون بأهمية إيجاد بديل عملي يستطيع أن يثبت نفسه في الساحة الاقتصادية، ويصرف الناس عن التعامل مع تلك البنوك الربوية.

فظهرت في بداية الستينيات آراء وفتاوى لعدد من العلماء حول تلك المعاملات المنتشرة، كما عقدت مؤتمرات وندوات دولية تمس هذا الجانب، وقد كانت المبادرات مقدمة لاستحداث نظام اقتصادي إسلامي عصري، وبدء دراسات علمية تهتم بالتأصيل لهذا النظام من حيث مرتكزاته وأدواته، وأثمرت تلك المبادرات عن بدء التطبيقات العملية للبدائل فأنشأ الأستاذ: أحمد النجار - رحمه الله - عام (١٩٦٣م) - في مصر - (بنك التوفير) كأول بديل للبنوك الربوية المستشرية يسهم في إنقاذ المجتمعات الإسلامية من الربا ويطرح بدائل للمعاملات الاقتصادية تلبى احتياجات تلك المجتمعات بكفاءة فنية ومصداقية شرعية، وقد اشتهر الدكتور النجار بهذا العمل الرائد وأصبح يشار إليه بـ (أبو البنوك الإسلامية).

وسعى من خلاله إلى استبدال المعاملات الربوية والشركات المحرمة بالبيع والإجازات والمشاركات القائمة على أحكام الشريعة الإسلامية.

وقد كان لهذا العمل تأثيراً كبيراً في نفوس المسلمين، وبحث في نفوسهم العزة بتشريعاتهم التي تفي باحتياجاتهم وطموحاتهم، وتوجد لهم من البدائل العملية ما يواكب المتغيرات، وتفتح المجال أمامهم لإيجاد صور تناسب عصرهم الذي يعيشون فيه، ونظروا إليه على أنه مقدمة لتحقيق الاستقلال الاقتصادي للمسلمين وبداية لنهضة الأمة.

وانتشرت تلك المؤسسة بعملها قرابة خمس سنوات، إلا أنها توقفت رغم بُناها لأسباب غامضة.

ثم تبعها بعد ذلك العديد من البنوك الإسلامية، ومن أوائلها، (بنك دبي الإسلامي) و (البنك الإسلامي للتنمية)، وقد اعتمدت هذه البنوك على استخدام المضاربة والمشاركة أو التوكيل بشكل عام، كبدايل عن الامتلات المحرمة.

ومن صور وأشكال المعاملات الاقتصادية البديلة، التي استخدمتها البنوك الإسلامية بالإضافة إلى ما سبق، المربحة والبيع بالتقسيط وغيرها من المديانات، وصارت تلبى احتياجات الناس، وتصرفهم عن اللجوء إلى البنوك الربوية.

كما استخدمت المؤسسات الاقتصادية الإسلامية صيغة الاستصناع الذي قدم خدمة كبيرة في العصر الحاضر في تلبية حاجات المجتمع إلى المصانع والمجمعات السكنية والتجارية.

كما ظهر في الساحة الاقتصادية ما يسمى (بالاعتمادات المستندية) التي تعد من أحدث البدائل الشرعية في الاقتصاد الإسلامي، والتي تسهل عملية استيراد البضائع من البلاد المختلفة، وصورتها: أن يكون البنك وسيطاً بين البائع والمشتري، يتعهد بتسليم الثمن للبائع بمجرد شحن البضاعة وتسليم مستنداتها إلى البنك، كما يتعهد بتسليم البضاعة إلى المشتري، وذلك مقابل أجره يأخذها البنك عن الوكالة والخدمات التي يقدمها من خلال إجراء المعاملات المختلفة، ولا يأخذ مقابل الضمان شيئاً.

ثم ختم حديثه بالملاحظات التي تؤخذ على المؤسسات الاقتصادية التي تسعى لإيجاد البدائل الشرعية، ومن أبرز تلك المآخذ التركيز على المربحة وغيرها من المداينات، على حساب العمل بالمشاركات والمضاربات، مع أن أهم مزايا البديل الإسلامي - وهي المشاركة في الربح والخسارة - تبرز بالتركيز عليهما، وهذه الممارسات تضعف قوة البديل الإسلامي بالمقارنة مع البنوك الأخرى التي تتركز أعمالها على المداينة الربوية.

ونظراً لما حققته المؤسسات الاقتصادية الإسلامية من إنجازات، وما وصلت إليه من نجاح، رغب بعض البنوك في تحويل أنشطته التقليدية المتعامل بها، وتعديل نظامه بما يتوافق مع قواعد الدين الإسلامي وتعاليمه.

حيث قدّم البنك العقاري الكويتي مشروعاً لتعديل كافة أنشطة البنك المصرفية بما يتوافق وأحكام الشريعة الإسلامية، ومن أهم العوامل التي أدت إلى نشوء الفكرة:

١- «محدودية نشاط البنك العقاري الكويتي، بالرغم من وجود فرص متاحة استفادت منها البنوك الأخرى.

٢- قناعة الملاك الرئيسيين بأهمية السوق المالية الإسلامية ومستقبلها.

٣- ارتفاع حجم الطلب على الخدمات المالية الإسلامية، وقلة المعروض منه محلياً.

٤- حاجة الشركات المالية الإسلامية إلى وجود بنك إسلامي آخر لدعم نشاطها.

٥ - مواكبة التوجه العالمي في مجال البنوك الشاملة، والخروج من نطاق البنك المتخصص»^(١).

وللعمل على إنجاح المشروع وضعت خطة تحتوي على منهجية تغيير نشاط المؤسسة، ومن أهم نقاطها:

١ - التدرج في التحول: بحيث يتم ذلك على مراحل، خلال مدى زمني مناسب يتم الاتفاق عليه مع الإدارة، ضمن خطة تراعي الأولويات.

٢ - الاستفادة قدر الإمكان من الكفاءات الموجودة، وتدريبهم وتطويرهم، من أجل استيعاب العمل الجديد.

٣ - فحص كل المنتجات الجديدة التي ستقدم، والتأكد من سلامتها، واستيعاب الموظفين لها.

٤ - إحداث التغيير في تقديم الخدمات والمنتجات الإسلامية، بأسرع وقت ممكن.

ولعل من أبرز ما يدل على نجاح المؤسسات الاقتصادية الإسلامية، واستقطابها لأغلبية المجتمع، ووصولها على ثقة الناس، رغبة العديد من البنوك في التحول من مؤسسة تقليدية إلى مؤسسة إسلامية.

ومن أفضل ما وقفت عليه من الدراسات النظرية الجادة في مجال إيجاد البدائل في الجانب الاقتصادي:

١ - كتاب البديل الإسلامي للفوائد المصرفية الربوية^(٢)، درس فيه المشكلة

(١) نشرة خاصة بالاجتماع الثلاثون للجمعية العامة غير العادية، أكتوبر، ٢٠٠٣ م.

(٢) البديل الإسلامي للفوائد المصرفية الربوية، للدكتور عاشور عبد الجواد عبد الحميد، دار النهضة العربية.

على مستوى الدول الإسلامية، وعالج قضية القروض الأجنبية وطريقة التخلص منها بشتى أنواعها، ودور مشروعات المشاركة الإسلامية الدولية في ذلك، ويقول: «ولهذا يعتبر الاقتصاديون أن تأسيس تلك المشروعات على المستوى العربي، هي إحدى الوسائل التي يمكن من خلالها التخلص من مشكلة القروض الخارجية، وهذا يصدق أيضاً على المستوى الإسلامي»^(١).

كما حث على استثمار الأموال الإسلامية داخل بلاد المسلمين، وبين خطورة ومصير هذه الأموال في الخارج، ودور الدول في إيجاد البديل للاستثمار، «وهنا يبرز دور المشروعات الإسلامية الدولية، حيث تقدم تلك المشروعات - بفروعها وشركاتها الوليدة - لأصحاب الأموال مجالات استثمار بعيدة عن الحرام، من خلال نظام قانوني يكفل لهم من الضمانات ما يجعلهم يطمنون على أموالهم»^(٢).

كما طرح البديل الشرعي لنظام السندات في التشريعات الوضعية^(٣)، وذلك بمعالجة الخلل الشرعي في هذا النظام الذي يعتمد على الفائدة الثابتة سنوياً في حال الربح والخسارة، «وبديل الفائدة الثابتة هو المشاركة في الأرباح والخسائر، فلا يكون لصاحب السند فائدة سنوية ثابتة، بل نسبة مئوية من الأرباح يتفق عليها، وقد أخذت بعض الشركات الإسلامية بهذا المبدأ، كالشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي»^(٤).

(١) المرجع نفسه، ص ١٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٠.

(٣) السند: هو صك قابل للتداول، يعطي صاحبه الحق في الفائدة المتفق عليها، بالإضافة إلى قيمته الاسمية عند انتهاء مدة القرض.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٨٦.

كما تطرق إلى تمويل المشروعات عن طريق المشاركة في رأس المال، والذي يُعدُّ بديلاً شرعياً ناجحاً، وبين محاذيره ومخاطره ومميزاته.

٢- بحث عن (الوقف البديل الشرعي للتأمين)^(١) للباحثة: هيفاء أحمد الحجي الكردي، فقد مهَّدتْ له بمبحث عن الخطر وتعريفه وأقسامه وأساليب مواجهة الخطر في التشريع الإسلامي، وقسمت الأخطار إلى قسمين: أخطار معنوية، وأخطار مادية (اقتصادية)، ثم قسمت أساليب مواجهة الأخطار إلى أساليب وقائية، وأساليب علاجية، وبينت أثر التكافل الاجتماعي في مواجهة الأخطار.

ثم تناوَلتُ الوقف وأهميته وتاريخه، وبينت أن تراث المسلمين مليء بما يغنيهم عن الاعتماد على غيرهم في جميع جوانب حياتهم، وركزت على «أن الوقف نظام اقتصادي واجتماعي غاية في الأهمية، يمكن الاستفادة منه في شتى مجالات الحياة، فيما لو عرف المسلمون كيف يستفيدون منه، وما نراه من انحسارٍ لدور الوقف في بعض الأزمان أو بعض الأماكن في حياتنا المعاصرة، ما هو إلا ثمرة فتور الهمم والعزائم من أهل الاختصاص في الخوض في هذا المجال الكبير والبحث فيه عن الحلول للمستحدثات بطريق مشروع وميسر»^(٢).

ثم تحدثت عن التأمين وتاريخه وأغراضه ووظائفه ومبرراته في العالم

(١) الوقف البديل الشرعي للتأمين، للباحثة: هيفاء أحمد الحجي الكردي، رسالة ماجستير، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الفقه المقارن وأصول الفتنة، بإشراف: د: محمد عبدالغفار الشريف.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

المعاصر، واتجاهات العلماء في حكمه، فمنهم من يرى حله وجواز التعامل به، ومن أبرز هؤلاء: الأستاذ مصطفى الزرقا- رحمه الله- الذي بين «أنه لا فرق في كل هذه الشبهات المزعومة بين تجاري وتعاوني من حيث طبيعة كل منهما ومضمونه، سوى أنه من يقوم بإدارة عملية التأمين فيما يسمى (تجارياً) هو شركة التأمين، يعود عليه ربحٌ في النتيجة من فرق ما يأخذ من أقساط، وما يؤدي عند وقوع الخطر من التعويضات، وهذه ناحية خارجية لا تغير من طبيعة التأمين شيئاً»^(١).

والاتجاه الآخر يرى عدم جواز الأمر بأنواعه، ويتبنى هذا الرأي الدكتور: أحمد الحجي الكردي، والدكتور: محمد عبد الغفار الشريف- حفظهما الله- وغيرهما.

ومن خلال مناقشة آرائهم وأدلتهم رجّحت القول بحرمة التأمين سواءً التجاري منه أو التبادلي، وهذا ما ذهب إليه العديد من العلماء المعاصرين.

وانطلاقاً من هذا طرحت فكرة الصندوق الوقفي للتأمين ودرستها دراسة نظرية مفصلة، لتطبيقها في حياتنا المعاصرة، كبديل شرعي يخلو من المآخذ التي أخذت على نظام التأمين المعاصر، ومن أهمها، «خلو الصندوق الوقفي للتأمين عن المعاوضة قولاً وفعلاً، لأن الواقف متبرع ولا ينتظر في مقابل وقفه أي شيء عدا الأجر والثواب، ومن خلال كون الوقف تبرعاً لا معاوضة، تنتفي كل الشبه المتعلقة بالمعاوضة كشبهة الربا والقمار والغرر الموجود في عقد التأمين»^(٢).

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٦، نقلاً عن كتاب نظام التأمين، للزرقا، ص ١٧١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٣.

ونظراً لخلو فكرة الصندوق الوقفي للتأمين من المخالفات الشرعية ، وأدائه لمتطلبات التأمين على أفضل وجه ، اعتبر بديلاً شرعياً ، يمكن تطبيقه بأنواعه المتعددة ، «فالتأمين يقوم بأداء العديد من المصالح بالنسبة للمؤمن لهم ، وأن فكرة الصندوق الوقفي للتأمين ما هي إلا صيغة شرعية مقترحة لتكون بديلاً عن التأمين ، فهذا الصندوق سيقوم - بإذن الله - بأداء المصالح ذاتها التي يقوم بها التأمين ، ولكن بطريقة شرعية يتلافى فيها المخالفات التي وقع بها التأمين»^(١) .

ثم طرحت أفكاراً عامة حول إنشاء الصندوق الوقفي للتأمين ، وإمكانية تطبيقه على أرض الواقع بصور وصيغ متنوعة ، تلبي احتياجات الناس المختلفة ، منها: ^(٢)

أ- الصندوق الوقفي المنفرد ذو الغرض التأميني المحدد والمعين ، الموقوف على فئة معينة يدخل فيها الواقف .

ب- الصندوق الوقفي الجماعي ذو الغرض التأميني المحدد والمعين ، الموقوف على فئة غير معينة يدخل فيها الواقف .

ومثل هذه الدراسات العلمية النظرية لإيجاد البدائل ، تنتظر تطبيقاً من ذوي الاختصاص ، واهتماماً بتنفيذها ، والعمل على تذليل العقبات والصعوبات التي تعترضها ، لصرف الناس عن الأمور المحرمة ببدائل شرعية مرضية .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥٧ ، - ١٥٨ ،

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٨ ، - ١٩١ ،

ومن الجوانب الهامة التي يعمل الدعاة على إيجاد بدائل فيها، الجانب الاجتماعي، الذي بصلاحه يصلح أمر الدول والحكومات، ويعيش المجتمع براحة واطمئنان، وهو هدف الدعاة وهمهم الأول، لشعورهم بخطورته وبالواقع الذي آل إليه، من ظهور تفكك في الأسر وجفاء في العلاقات وانحراف في الأفراد، سببه الأول وجود هوة بين الآباء والأبناء، وصعوبة في التعامل مع أبنائهم، وانشغال الآباء والأمهات بأعمالهم عن تربية أولادهم وفهم حاجاتهم وما يدور في أذهانهم.

ومع ما وصل إليه الجانب الاجتماعي في الأمة الإسلامية بشكل عام من تأخر وانحراف، إلا أنه ما يزال أكثر تقدماً وأفضل سمعة مما وصلت إليه المجتمعات الغربية، وذلك بفضل الله أولاً، ثم بفضل انتشار المؤسسات الإسلامية التي تُعنى بهذا الجانب، ومن هذه المؤسسات (لجنة مصابيح الهدى) في دولة الكويت، إذ يسر الله لي لقاءً مع نائب رئيس اللجنة، الدكتور: محمد الثويني - حفظه الله -، وسألته عن البدائل في الجانب الاجتماعي التي يقدمونها للمجتمع المسلم، ومدى أهميتها وتأثيرها في الأسر المسلمة، والأسباب التي دعتهم لإنشاء هذه المؤسسة الدعوية؟.

فأوضح أن لإنشاء لجنة مصابيح الهدى باعثن أساسيين، أولهما: باعث شخصي وذلك من خلال تجربته منذ الصغر والتحاقه بناه للمبارزة بالسيف، فكان معجباً بهذه الرياضة المفيدة، إلا أنه كان يضيق ذرعاً بما يراه من سلوكيات خاطئة بعيدة عن الأخلاق الإسلامية، فعزم على إنشاء بديل يحوي مختلف الأنشطة والمهارات والألعاب التي يحتاجها الشباب المسلم في جو منضبط، بعيد عن تلك الأجواء الضارة بشباب الأمة الإسلامية، والتي تزرع فيهم

السلوكيات الخاطئة والأخلاقيات المتذبذبة والعادات السيئة، وتربي فيهم البعد عن العبادات والتكاسل عن أداء الفرائض والواجبات، وهذا ما تبثه معظم المؤسسات الترفيهيه والرياضية في أيامنا هذه.

وقد أكد لي - هذا الوضع - أحد الإخوة الأصدقاء وهو مُدَرِّب لكرة القدم في أحد النوادي الرياضية، التي ضعفت فيها الرقابة الشرعية، وقلَّ فيها الاهتمام بالجوانب الأخلاقية، فتفشيت بعض الأمراض السلوكية، مما اضطر المسؤولين إلى إيجاد نوع من النشاط الثقافي التربوي والتوجيه السلوكي المستقيم من خلال الأنشطة المختلفة.

والباعث الثاني: اتصاله ومعرفته بالشيخ جاسم المطوع، الذي يولي هذه الأنشطة اهتماماً خاصاً، وكان هدفهم الأول وهمهم الأكبر هو الحفاظ على الاستقرار الأسري وإيجاد الأمان الاجتماعي داخل الكويت، والحفاظ على الأسر والأولاد من التفكك والانحراف، وقد بدأت اللجنة عملها كمؤسسة وقائية، ثم أصبحت علاجية بحكم الواقع الذي آل إليه المجتمع الكويتي، والحاجة الملحة لذلك.

فعملوا على إيجاد طرق بديلة لعلاج بعض المظاهر السلبية في المجتمع الكويتي، فأنشؤوا مشاريع وحملات دعوية بمسميات عديدة وبأهداف متنوعة، منها حملة الوفاء، التي تعالج الجفاء بين الأبناء والأمهات وتغرس في نفوس الأبناء المحبة الصادقة للأم، وتشعرهم بأهميتها ودورها في الأسرة والمجتمع، وذلك بتقديم وردة لكل أم من ولدها، الذي كان له الأثر الكبير في نفوس الأمهات والأولاد، ولعل هذا المشروع يتوافق تماماً مع طبيعة المجتمع الكويتي، الذي انشغل فيه الأمهات عن أولادهن بسبب عملهن خارج المنزل،

وعدم الجلوس معهم فترة كافية ، وقد لا يعطي هذا المشروع الأثر نفسه في بلد آخر ، نظراً للظروف الاجتماعية المختلفة من بلد لآخر .

بالإضافة إلى إقامة دورات تدريبية يطرح فيها كل ما يتعلق بالعلاقة الزوجية ، وما يهم الشباب في فترة إقدامهم على مشروع الزواج ، لتكون بديلاً عن البرامج الأخرى التي تهتم بجانب من جوانب العلاقة الزوجية وتهمل غيره ، وتوجه ذهن الشاب إلى الاهتمام بالناحية الجنسية دون غيرها من الجوانب الهامة ، كالحقوق المتعلقة بكلا الطرفين ، وبأهمية عقد الزواج ، والأسس التي تقوم عليها الأسرة المسلمة .

ويبين الدكتور : محمد الثويني - حفظه الله - اهتمام لجنة (مصاييح الهدى) بإقامة المخيمات الصيفية ، والأنشطة المختلفة للفتيان والفتيات لملء أوقات فراغهم ، وإبدالهم بأعمال نافعة ومفيدة ، عن انشغالهم بأمور محرمة مضرة .

ولم تقتصر المخيمات على طبقة الشباب ، بل شملت حتى الأطفال ، حيث خصصت لهم مخيمات تنسجم وطفولتهم ، وتخطب عقولهم ، وتبرز مواهبهم ، وتزرع فيهم ما يفيدهم في دنياهم وأخراهم ، وتركز على أساسيات التعامل مع آبائهم وأمهاتهم ، من خلال الأنشطة المختلفة التي يمارسونها في مخيماتهم .

وأكد فضيلته أن من أبرز العوائق التي تواجههم ، وتحير عقول الناس وتشتت أفكارهم ، صدور الفتاوى من بعض العلماء التي تحذر الناس من أنشطتهم وتنكر عليهم بعضاً من أعمالهم ، ومشاريعهم الدعوية ، دون مراعاة لفائدة تلك الأنشطة أو إجراء موازنة بين إيجابياتها وسلبياتها ، وقد برزت هذه

القضية عندما أقيم نادٍ للفتيات يتضمن أنشطة متنوعة، ضمن جوٍ ملتزم منضبط بالضوابط الشرعية.

إلا أن الصورة نقلت لبعض العلماء خلافاً للحقيقة، فأصدروا فتوى التحريم دون تثبت من الأمر أو تبين منه. وإلى جانب تلك الأنشطة الداخلية، عملوا على إقامة أنشطة خارجية، ورحلات سياحية هادفة، كبديل عن ما تقيمه بعض الشركات السياحية من رحلات تهدف إلى المتعة والترفيه، دون اعتبارٍ للضوابط الشرعية، واهتمام بالشخصية الإسلامية.

وشعوراً من اللجنة المباركة بأهمية الترفيه البريء والمتعة المباحة، أنشأت مكتباً سياحياً يعمل على إعداد الرحلات وترتيب المستلزمات، فأقامت عدة رحلات سياحية - عائلية وفردية - إلى بلاد مختلفة، ناظرةً بعين الاعتبار إلى ما يعود على المسلم بالفائدة من خلال رحلته السياحية، فأعدت برنامجاً ترفيهياً وثقافياً متكاملًا، يملأ فراغهم، ويعود بالفائدة عليهم، ويزرع في نفوس المشاركين اعتزازهم بدينهم، وتمسكهم بفرائضهم، ويبصرهم بواقع أمتهم، ويعرفهم على أعضاء جسدهم، فالأمة الإسلامية كالجسد الواحد.

ونظراً لحاجة المجتمع إلى استفسارات تربوية، وحل لمشكلات اجتماعية، عملت اللجنة على إقامة مشروع مجاني للاستشارات الاجتماعية والأسرية، ومركزاً للتنمية النفسية والاجتماعية، يعمل على تقديم الحلول المناسبة والاقتراحات الصائبة والأجوبة الصحيحة فيما يهم الأسرة الكويتية، ويغنيها عن اللجوء إلى المؤسسات التربوية والاستشارية التي لا تنطلق من منظور إسلامي.

كما تحرص اللجنة على إقامة محاضرات في الأسواق والمهرجانات وأماكن تجمع الناس، مع ما تحويه تلك الأماكن من منكرات ومخالفات شرعية، لشعورها بأهمية مخاطبة تلك الفئات من المجتمع التي لا يمكن توجيه الخطاب النافع لها إلا في مثل تلك الأماكن.

ومما يميز اللجنة اعتمادها مرجعاً شرعياً تستشير به في جميع مشاريعها قبل الإقدام عليها، حتى لا تقع في الخطأ والحرام من جهة، ولتُبعد عنها المضايقات الناتجة عن الفتاوى المخالفة من جهة أخرى، إذ الموازنات في مثل هذه الأمور دقيقة جداً، تحتاج إلى فكر عالم واع بواقع مجتمعه.

ولم تغفل لجنة مصابيح الهدى الجانب الإعلامي، والعمل على إيجاد البديل الاجتماعي المنضبط من خلال الوسائل المعاصرة والمتنوعة، فطرقت مجال الإنترنت من خلال عرض بعض الموضوعات التي تهتم الأسرة المسلمة وتعالج فيها الجوانب الاجتماعية والتربوية، والمشاكل التي تواجه الآباء والأمهات مع أبنائهم في مراحل عمرهم المختلفة، كما شاركت ببرامج متنوعة في التلفاز من خلال قنوات مختلفة، بل حتى المخالفة منها للمنهجية التي يسرون عليها، وللقيم والتعاليم التي يؤمنون بها، وللأفكار التي يتبنونها.

وأصدرت اللجنة العديد من الأشرطة - المرئية والمسموعة - التي تتبع الأسرة المسلمة وما يعترضها من عقبات في مسيرتها، وإبداء الآراء والطرق لعلاج بعض القضايا الأساسية من منظور إسلامي معاصر، ومنها (أفتخر بأنني مراهق - تحجبي لتزدادي جمالاً).

كما أولت الوسائل المقررة اهتماماً كبيراً، فأصدرت العديد من المجلات الاجتماعية الهادفة، بإخراج متميز تنافس فيه ما سواها من المجلات الهابطة

التي تنشر الفتنة بين الجيل المسلم بشتى طبقاته، ومن أبرز المجالات التي تصدرها اللجنة: (مجلة الفرحة، ومجلة تحت العشرين، ومجلة ولدي- التي يرأس تحريرها الدكتور محمد الثويني)، وما يميز هذه المجالات تناولها لموضوعات جريئة يصعب على غيرها التطرق إليها والحديث عنها، وتقدم تلك الموضوعات بمفهوم جديد، يتماشى مع التعاليم الإسلامية، ويغني القارئ عن اللجوء إلى غيرها من المجالات الهابطة.

إن مثل هذه الجهود المبذولة من قبل بعض المؤسسات الاجتماعية سدت فراغاً كبيراً في الجانب التربوي والدعوي، إلا أن افتقارها إلى دعم الحكومات يضعف من جهودها وتأثيرها، هذا إن لم يضيق عليها بسبب ظروف محيطية بعض الدول الإسلامية.

كما ينبغي أن يتم التعاون بين تلك المؤسسات على اختلاف مناهجها ووجهات نظرها، لكي يتكامل جهدها وتعطي الأثر المتوقع منها، وأن تهدف إلى خدمة الصالح العام، لا إلى أغراض ومصالح شخصية، «إن المجتمع الذي نشده ينبغي أن يكون ثرياً بالمؤسسات والدوائر الوسطية التي لا تمثل مصالح خاصة لبعض الناس، كما أنها ليست جزءاً من مؤسسات الدولة»^(١).

ومن الجوانب المهمة التي أولاها بعض الدعاة العناية والاهتمام، جانب القوانين الوضعية، وتبديلها بقوانين شرعية، من خلال خطة محكمة، وعمل هادئ، يوازن بين الواقع والواجب، وبين المفاسد والمصالح.

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د: عبد الكريم بكار، ص ١٨٨، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

ومن أبرز المؤسسات التي اهتمت بهذا الجانب في العصر الحاضر (اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) بدولة الكويت، التي أثنى عليها وعلى جهودها كثير من العلماء والدعاة.

وقد تكرم مشكوراً رئيس اللجنة فضيلة الدكتور: خالد المذكور - حفظه الله - ، باقتطاع جزء من وقته، وتحديد موعد لي للاستفادة من تجارب اللجنة وخبراتها في مجال تعديل القوانين، وتبديل القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية بقوانين منبثقة منها. (١)

وقد أوضح اهتمامات اللجنة، وأنشطتها، واللجان العاملة فيها، وأهم إنجازاتها.

والناظر في الاسم الذي أطلق على هذه المؤسسة، يرى أن الكلمات قد اختيرت بعناية تامة، تدل على حكمة القائمين عليها، ومدى مراعاتهم لواقعهم ولظروف بلدهم المحيطة بهم.

فبعد أن أكرم الله - عز وجل - دولة الكويت بطرد المعتدين منها، رأى الدعاة في هذا البلد أهمية إنشاء هذه اللجنة، شكراً لله واستجابة لأمره - سبحانه وتعالى - ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢).

وتم اعتمادها من أمير البلاد كلجنة استشارية (وليست تنفيذية)، عليا (أي تتبع أمير البلاد)، تعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الموجودة في الدستور.

(١) تم اللقاء بمكتبه، في يوم الأربعاء الموافق ٧/٤/٢٠٠٤ م.

(٢) سورة الأنفال، آية ٢٤،

وبدأت أعمالها سنة (١٩٩١م)، ضمن أهداف وخطط رسمها العلماء والخبراء، ومنها:

- ١- وضع تصور لإيجاد بيئة مهيأة لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
 - ٢- طرح البدائل الشرعية للتشريعات والممارسات السارية المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية.
 - ٣- وضع تصور حول إيقاف الممارسات والتشريعات المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية.
 - ٤- إعداد تصور واضح حول جهاز المتابعة والتحقق من كفاءة تطبيق خطة عمل اللجنة، وذلك بعد استكمال عمل اللجنة وتحديد دورها في المتابعة خلال فترة عملها.
 - ٥- رسم برنامج زمني لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا يستدعي رسم خطة متكاملة لتهيئة الأجواء من خلال التنسيق بين خطط اللجان، مع مراعاة الأولويات التي تحددها اللجنة العليا.
- ولتحقيق هذه الأهداف تم إنشاء خمس لجان تدرس أحوال المجتمع الكويتي، وتعمل على إيجاد القوانين البديلة، وهي:
- ١- اللجنة التشريعية: وتتألف هذه اللجنة من نخبة من رجال القضاء والفقهاء القانوني والشرعي، ويتبع اللجنة فرق عمل لمراجعة القوانين السابقة ودراسة إمكانية التعديل فيها.

ومن هذه الفرق :

- أ- فريق عمل قانون الجزاء .
 - ب- فريق عمل القانون المدني .
 - ج- فريق عمل قانون الإثبات والمرافعات المدنية والتجارية .
 - د- فريق عمل قانون الإجراءات الجزائية .
- وقد حققت فرق العمل العديد من الإنجازات . (١)

٢- اللجنة الاقتصادية : وتعمل على تهيئة الأجواء لعملية التحول الكامل بالاقتصاد القومي ، إلى نظام قائم على أحكام الشريعة الإسلامية ، بأقل تكلفة اقتصادية واجتماعية ممكنة .

وتتضمن العديد من فرق العمل ، وهي :

- أ- فريق عمل توسعة دائرة المعاملات الشرعية في القطاع المصرفي .
- ب- فريق عمل لتوسعة دائرة المعاملات الشرعية في قطاع التأمين .
- ج- فريق عمل لإعداد الكوادر البشرية والتنمية .
- د- فريق عمل لمعالجة العجز في الموازنة العامة للدولة .

وللجنة العديد من الأنشطة والإنجازات في هذا المجال . (٢)

(١) انظر الكتيب التعريفي ، ص ٣١ ، من إعداد إدارة العلاقات العامة للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨ ،

٣- اللجنة الإعلامية: وتهدف إلى أسلمة الإعلام بمختلف وسائله، وذلك بإعداد مشاريع إعلامية بديلة تتناسب مع العصر الحاضر

وتتضمن اللجنة العديد من فرق العمل، وهي:

- أ- فريق عمل الإذاعة.
- ب- فريق عمل التلفاز.
- ج- فريق عمل المسرح.
- د- فريق عمل الصحافة.

وللجنة العديد من الأنشطة والندوات والحلقات النقاشية والمناسبات التي تهدف إلى الوصول لدراسة متكاملة حول مشروع البديل الإعلامي. (١)

٤- اللجنة التربوية: تقوم بدراسة الواقع التربوي في البلاد، وحصراً ما به من سلبيات ومخالفات شرعية، لتضع نظاماً تربوياً بديلاً يقوم على هدي أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، ولتتفادئ سلبيات النظام القائم بمعالجة قصوره، ويتفرع من اللجنة أربعة عشر فريقاً يعملون على تحقيق أهدافهم المنشودة، من خلال أنشطة متنوعة. (٢)

٥- اللجنة الاجتماعية: تعمل على دراسة الواقع الاجتماعي للبلاد، وتحديد الإيجابيات والسلبيات، وتطرح الحلول والتصورات الإسلامية حول القضايا الاجتماعية والأسرية.

(١) المرجع نفسه، ص ٤٣

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٩

ويتفرع عنها فرق العمل التالية:

- أ- فريق عمل قطاع الشباب .
 - ب- فريق عمل لمتابعة التشريعات الاجتماعية .
 - ج- فريق عمل لتطوير بعض التوصيات في مؤتمر «الأسرة في التشريعات الكويتية» .
 - د- فريق عمل جمعيات النفع العام والجمعيات التعاونية .
 - هـ- فريق عمل قانون صلة الأرحام ، وتقوم اللجنة بالعديد من المشروعات المتعلقة في هذا المجال .^(١)
- وقد وضعت اللجنة الاستشارية العليا أسساً ومبادئ للسير عليها ، ومن هذه المبادئ:
- ١- العمل من خلال خطة عامة .
 - ٢- الشورى .
 - ٣- مراعاة واقع البلاد ومصالحها .
 - ٤- الاستفادة من رحابة وسعة الفقه الإسلامي .
 - ٥- التدرج .
 - ٦- ضمان نجاح تطبيق أحكام الشريعة ، وليس مجرد الاستكمال .
 - ٧- المحافظة على النظم التي لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية .
 - ٨- التأنى والتثبت .

(١) المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

٩- الأخذ بمبدأ التقنين .

١٠- توعية الناس ومخاطبة الرأي العام .

١١- مراعاة عامل الحداثة والتطور .

١٢- الحوار الهادئ والهادف .

ولم تخل الأمة الإسلامية من دعاة ومصلحين اهتموا بهذا الجانب اهتماماً بالغاً، لشعورهم بضرورته في انضباط سير المجتمعات والحد من المخالفات، إذ إن القوانين الشرعية تضمن للمجتمعات الحياة الآمنة، والراحة النفسية، والعدالة التامة، بخلاف القوانين الوضعية، فخالق البشر - سبحانه وتعالى - خلق الخلق وهو أعلم بما يصلح أمورهم، ويحل مشكلهم، ويدفع الضرر عنهم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١).

ويعد من أول ما ظهر من البدائل في هذا المجال «مجلة الأحكام العدلية» التي وضعت قوانين وقواعد شرعية في جانب المعاملات المدنية، بدلاً عن القوانين السابقة المعمول بها، للحد من الخلاف في هذا الجانب الذي يعتبر من أوسع الجوانب في الشريعة الإسلامية، وذلك لتغيير أحكامه بتغيير الأزمنة والامكانة والأعراف، ولتسهيل المهمة على القضاء، خصوصاً وأنه يعتمد في أحكامه على المذهب الحنفي الذي كثرت تفرعاته، وتشعبت مسائله، فأصبح تمييز القول الصحيح من بين الأقوال، وتطبيق الحوادث عليه أمراً عسيراً، بالإضافة إلى الأخذ بالأقوال الفقهية من المذاهب الأخرى، إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك .

(١) سورة الملك، آية رقم (١٤).

يقول الدكتور مصطفى الخن: «ولا شك أن أصل التفكير في ذلك أمر مستحب بل واجب، لأنه يقضي على روح التعصب المذهبي الذي كثيراً ما أحدث فرقة في صفوف الجهلة الغلاة المتعصبين من المسلمين، ولكن لا يصح أن يؤخذ بهذا الرأي على إطلاقه، بل يجب أن يرافق ذلك النظر في قوة الدليل والمآخذ... إن هذه الخطوة التشريعية تُعدُّ البادرة الأولى للتحول في تدوين الفقه الإسلامي من أسلوب قديم إلى أسلوب جديد يتناسب مع ما يقابله من قوانين وضعية، أصبحت على جانب كبير من التنظيم والتبويب وحسن العرض»^(١).

كما ظهرت على الساحة الإسلامية (اللجنة العليا لتطوير القوانين وفق أحكام الشريعة الإسلامية)، بدولة مصر، وقد وضعت العديد من القوانين التشريعية في مختلف المجالات، كما اهتمت بمشروع قانون العقوبات الذي أعدته لجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية بمجلس الشعب، يقول شيخ الأزهر - جاد الحق - رحمه الله - : «إن لجان مجلس الشعب ظلت نحو خمس سنوات تعمل في جميع الفروع القانونية، لتقدم تشريعاً إسلامياً مأخوذاً من فقه المذاهب الإسلامية، ميسرة أحكامه للجميع، مع ملاحظة ظروف العصر وتغييراته، وانتهت هذه اللجان من إعداد المشروعات وقدمتها لمجلس الشعب، ونحن مهيوئون لها تماماً، يكفي أن تنزل إلى الشارع اليوم لتسمع رغبة الناس في الأخذ بها...»^(٢).

(١) دراسة تاريخية للفقه وأصوله، للدكتور مصطفى سعيد الخن، ص ١٣٥، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

(٢) تطبيق الشريعة بين القبول والرفض، لرشاد سلام، ص ٢٠٩، مؤسسة سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

ومن أبرز الفروق التي ذكرها العلماء بين التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية، ما يلي:

١- القانون الوضعي قانون بشري من صنع الناس، لا ينبغي مقارنته بالتشريع السماوي الذي جاء من عند الله، وذلك كالمقارنة بين الخالق والمخلوق.

٢- الذين يصنعون القانون بشرٌ يخضعون للأهواء والنزاعات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية، ومهما ارتقى الناس في سلم المعرفة، فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقائق الأمور وأن يحيطوا بها خبيراً، أما الشريعة الإسلامية فوحي إلهي منزّه عن ذلك كله.

٣- القانون الوضعي نظام محدد القواعد يلبي حاجة الجماعة لتنظيم حياتهم الحاضرة وتطور بتطورها، أما التشريع الإسلامي فيولد متكاملًا وافيًا بمطالب الحياة، محكم النسيج، صافي المورد.

٤- قواعد القانون الوضعي مؤقتة لجماعة خاصة في عصر معين، أما قواعد الشريعة الإسلامية كلية ثابتة مستقرة.

٥- القانون الوضعي - في الأغلب - لا يتناول سوى المعاملات المدنية في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم عليها سلطة الدولة، والشريعة الإسلامية تتناول الإيمان بالله والرسول وعالم الغيب وصلة أنعبد بربه وسلوكه الأخلاقي وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها.

٦- تنفد القوانين الوضعية سلطتها على النفس البشرية، لأن سلطة

العقوبة الدنيوية وحدها لا تكفي في ردع المجرم، أما قوانين الشريعة الإسلامية تربي الضمير الإنساني ليكون رقيباً على المسلم في السر والعلن. (١) ومن أهم الجوانب في حياة المجتمعات، وأقواها أثراً، وأوسعها انتشاراً، الجانب الإعلامي بأنواعه المختلفة، إذ يعول عليه الكثير من الحكومات والقيادات وأصحاب الرأي ورؤساء الشركات، في نشر أفكارهم، وجذب الناس إليهم، وإقناعهم بأرائهم، لما للإعلام من تأثير كبير في المجتمعات بشكل عام.

لذا كان الاهتمام بهذا الجانب بشتى أقسامه من صحافة وإذاعة وتلفزة، منقطع النظر.

فعمل المخلصون على دراسة إيجاد البديل الإعلامي النافع، الذي يجذب أنظار المجتمع إليه، ويصون عقائدهم وأفكارهم، ويحفظ أفرادهم من الانحراف.

ولا بد لأي عمل ناجح من دراسة واعية، وتحديد أهداف ومبادئ ومنهجية يسير عليها، يقول الدكتور علي جريشة: «ونجد أهم أهداف الإعلام في ظل نظام إسلامي، هي تحقيق أهداف ثلاثة:

- ١- تحقيق الشرعية الإسلامية التي ينبغي أن تصبغ المجتمع كله.
- ٢- مواكبة برامج الإعلام لمرحلة الدعوة التي نعيشها.
- ٣- درء المفسدات التي يمكن أن ترد على الإعلام» (٢).

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د: عبد الله أحمد فروان، ص ٣١، دار الفكر المعاصر، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٢) نحو إعلام إسلامي، د: علي جريشة، ص ٨١، مكتبة وهبة، القاهرة.

كما يلزم البديل الإعلامي الناجح أن ترتبط أهدافه بمقاصد الشريعة الإسلامية العامة، وأن يلتزم بخصائص الإسلام الأساسية، لأنه يخاطب الإنسان الذي خلقه الله - سبحانه وتعالى - لحكمة، وجعل من خصائص الدين الإسلامي ومناهجه ما يصلح شأنه، ويقوم سلوكه، ويهذب أخلاقه.

ومن أهمها :

١ - الربانية: إذ لا بدّ للإعلام الإسلامي أن يكون ربانياً في أصوله ومبادئه ومصادره، بحيث يستمدّها من الشريعة الإسلامية، ربانياً في أساليبه ووسائله ومناهجه، بحيث تلتزم بالضوابط الشرعية العامة، فلا يتصور نجاح البديل الإسلامي، بتجاهله للتعاليم السامية، والإرشادات الربانية، التي وضعت لإصلاح أنفسنا ومجتمعاتنا.

٢ - المثالية والواقعية: إن المثالية في الإعلام الإسلامي تتمثل في استقامة الطريق، وشرف الدافع، وسلامة الغاية، ليلبغ بالإنسان أعلى مستوى من الكمال، دون إغفال لطبيعته البشرية، وواقعه الذي يعيش فيه، إذ راعاه الدين الإسلامي في تشريعاته وأحكامه.

٣ - الشمول والوضوح: يتميز الإعلام الإسلامي بالشمولية الإنسانية والموضوعية، فيهتم بكافة فئات المجتمع، يخاطب الجنسين - الذكر والأنثى -، والصغير والكبير، والعامي والمتعلم، ويعالج قضاياهم الخاصة والعامة، ويتناول شؤون حياتهم بجميع جوانبها، بكل وضوح وشفافية.

٤ - التوازن: فلا يغلب جانباً على جانب، لأنه يخاطب الطبيعة البشرية

التي تتكون من روح وجسد، وتحتاج إلى ما يشبع كلا الجانبين، فالبديل الإعلامي لا يهمل جانباً على حساب الجانب الآخر، بل عليه أن يحقق التوازن بين مطالب الجسم ورغائب الروح

٥- العالمية: حيث إن الدين الإسلامي دين عالمي، لا يخص مجتمعاً من المجتمعات، أو بلداً من البلدان، أو جنساً من الأجناس، فالإعلام الإسلامي البديل إعلام عالمي للبشرية جمعاء، لا يهتم بالعرب دون غيرهم، بل يهتم بقضايا الأمة دون عنصرية أو عصبية، ليحقق مقتضى العالمية التي جاء بها التشريع الإسلامي.

٦- الثبات والتطور: إذ لا بدّ للبديل الإعلامي أن يتمسك بالثوابت الشرعية، والمسكّمات الدينية، وأن يستفيد من المساحة المرنة في الشريعة الإسلامية، فيستحدث من الأساليب والوسائل والمناهج البشرية ما يتناسب مع متغيرات العصر وما تقضيه المصلحة.

ومن هذا المنطلق، ظهرت العديد من الوسائل الإعلامية، التي حرصت على رسم مبادئها، وتحديد أهدافها، ووضوح منهجها، وسلامة مضمونها من الخطأ، وذلك باعتمادها على التعاليم الإسلامية السمحة.

فبرزت المجالات على اختلاف موضوعاتها وأهدافها، وتميزت العديد من المجالات الهادفة عن غيرها من المجالات الهابطة، بمعالجة مختلف القضايا التي تهم الفرد- بمراحل عمره المختلفة- والأسرة والمجتمع، وأصبحت تنافس غيرها من المجالات بسمعتها القوية وبعدها قرائها والمشاركين فيها، كمجلة (المجتمع، والأسرة، وولدي، والنور، والفرحة)، وغيرها.

وما زالت الإذاعة الإسلامية - رغم أهميتها وتأثيرها - تخطو خطوات بطيئة، وتقدم برامج متواضعة، حتى لجأت بعض الجهات والمؤسسات الدعوية إلى مشاركة الإذاعات التي لا تقدر الإنسان، ولا تحرص على إسماعه ما ينفعه، فجل ما يبيثُ فيها أغانٍ هابطة، وأفكار ملوثة.

وعلى الرغم من فائدة المشاركة في مثل هذه الإذاعات، إلا أنه لا بدّ للمخلصين أن يخططوا لإيجاد الإذاعات البديلة المفيدة، ويعملوا على إعدادها إعداداً مميّزاً، ويحرصوا على اختيار العاملين فيها، لتصل إلى استحسان السامعين، ورضا المستفيدين، ومن أمثلة الإذاعات الهادفة، (إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية، وإذاعة القرآن الكريم بدولة الكويت).

وقد لاقت وسيلة الإنترنت اهتماماً كبيراً من قبل الدعاة والمصلحين، والهواة الجادين، فأنشؤوا المواقع البديلة، التي تشغل وقت المتصفح، وتعود عليه بالفائدة، وتصرفه عن ارتياد ما يضيع الوقت ويوقع في الآثام من المواقع المنتشرة في الشبكة المعلوماتية، ومن هذه المواقع (إسلام أون لاين، وإسلام اليوم، وإسلام ويب، موقع الإسلام لشركة حرف، وشبكة رنيم العربية).

ومع ذلك لا بدّ لولي الأمر من متابعة هذه الوسيلة، لخطورتها وسهولة استخدامها.

وما يذكر لبعض الدول الإسلامية قيامها بفترة أجهزة الاستقبال للمواقع التي تنشر الرذيلة، وتبث الخطيئة، تخفيفاً للشّر، وحفاظاً على أبناء الأمة الإسلامية من التدهور والانحلال.

ومن الوسائل التي ظهر الاهتمام بها في الآونة الأخيرة، التلفاز وقنواته الفضائية، التي غزت كل بيت، وصار الإنسان يضيع الكثير من أوقاته في متابعة برامجها، وانتظار مسلسلاتها، وسماع آخر أخبارها.

وتعتبر هذه الوسيلة من أوسع الوسائل انتشاراً وأكثرها تأثيراً وأسهلها استخداماً، فلا يكاد يخلو بيت إلا وجهاز التلفاز موجود فيه، وعيون الكبار والصغار موجهة إليه، لا يكاد ينطفئ هذا الجهاز إلا عند خلود أهل البيت إلى النوم، أو خروجهم من منزلهم.

وقد تبته بعض المصلحين إلى خطورة هذا الجهاز على المجتمعات الإسلامية وخاصة الشباب والأطفال، وتنوعت ردود الأفعال ومواقف العلماء من هذا الجهاز، فمن محرم له على الإطلاق، ومن مبيح له دون قيود.

وقد كان لهذين الاتجاهين نتائج وآثار أضرت بالأسر والأفراد، وتوسط بينهما رأي راعى طبيعة الجهاز وحاجة المجتمعات إليه ووازن بين أضراره وفوائده، إلى أن خلص إلى وضع شروط وضوابط للتعامل مع هذا الجهاز.

كما حرص هذا الاتجاه على إيجاد البديل لأسرته، وعدم الاقتصار على البرامج التي تُبث من خلال القنوات الفضائية، فأوجد لهم برامج ترفيهية ممتعة منضبطة، وأشرطة فيديو ثقافية، ومسلسلات إسلامية هادفة، تغنيهم عن مشاهدة المسلسلات والبرامج غير المنضبطة، وكان لهذا الاتجاه أثره الملموس في تربية النشء على طريقة التعامل مع ما يعرض من برامج وفقرات، وتعويدهم على مشاهدة المفيد، كما كان لهذا الاتجاه الأثر الكبير في الحد من سلبات جهاز التلفاز على معتقدات المسلم وأفكاره وأخلاقه.

وظهر بجانب هذا الجهد الفردي، جهد مؤسسي حرص على تقديم البديل الإعلامي الهادف، وبرزت محاولات كثيرة سعت لتقديم الشاشات الإسلامية، والبرامج المنضبطة والفقرات المفيدة، وتباينت نسبة النجاح من قناة إلى أخرى في تقديم البديل الصالح.

وكان أحدث هذه المحاولات في العصر الحاضر بعد قناة اقرأ، قناة الفجر^(١)، وقناة المجد الفضائية، التي بدأت بثها بخطوات ثابتة، وبجهود جبارة، بتاريخ (١/٣/١٤٢٤هـ) إلى أن نالت إعجاب المشاهدين من كافة الفئات والاتجاهات.

وقد حرصت على مراسلة بعض القائمين على قناة المجد، واللقاء بهم، لمعرفة الجهود التي قاموا بها، والأهداف التي أنشئت من أجلها، والعقبات التي واجهوها.

وقد حصلت على مقالة قبل نشرها، من أحد العاملين في هذه القناة، الأستاذ: صالح الأحمر- رئيس تحرير مجلة بث^(١)، تتحدث عن نشأة القناة، وأهدافها، ومنهجيتها.

وتطرق المقال إلى أن إيجاد البديل الإعلامي ليس بالسهولة التي يظنها البعض، وخاصة عندما تختار القناة طريقاً يميزها عن غيرها وهدفاً سامياً يرفع من مكانتها، يقول صالح بن علي الأحمر: «عندما تقصد هدفاً بعيداً قصده المئات قبلك، والطريق إليه معبدة، وأنت تملك المركبة المناسبة. . فإنك تحتاج

(١) لم يتيسر لي اللقاء بالمسؤولين عنها أو مراسلتهم، ولم تبدأ بث برامجها أثناء إعداد هذه الدراسة.

(٢) تصدر عن شركة بث للإعلام، لندن، المملوكة لشركة المجد للبث الفضائي المحدودة.

فقط أن تدفع تكاليف السير، ثم تسير، ولكن... عندما تقصد هدفا بعيدا لم يقصده أحد قبلك، والطريق إليه تضاريس وعرة، وليس ثمة مركبة، فإنك تحتاج إلى شق طريقك الخاص (تخطيطاً، وتأسيساً، وإنشاء)، وصناعة مركبتك الخاصة (فكرة، وتصميماً، وتنفيذاً)، وأن تدفع تكاليف كل هذا، إضافة إلى تكاليف السير... ثم تسير!». .

ولهذا واجهت قناة المجد الفضائية الكثير من العقبات، وتعرضت للعديد من المشكلات، من أبرزها: أنها لم تجد المادة الإعلامية المناسبة التي تتماشى مع ما رسمته من ضوابط، وما وضعت من شروط لقبول البرامج المختلفة، فاضطرت إلى إعداد البرامج وإنتاجها بنفسها.

«كان على المجد أن تعلم أن مبادئها ومنطلقاتها تُعدُّ جديدة تماماً على الصناعة التلفزيونية التقليدية - وقد علمت - ، لذا فإنها لن تستطيع تزويد خزان ساعات برامجها بأي وقود جاهز من أية محطة أخرى - إلا أن تعيد تكريره في أحسن الأحوال - ، مما يعني أنها ستصبح القناة الوحيدة في العالم، التي تصنع وقودها بنفسها، أي: تقوم بإنتاج - أو إعادة إنتاج - جميع برامجها - وقد أصبحت -» .

لقد حققت قناة المجد الفضائية حلم الكثيرين من الأسر المحافظة، وأوجدت جواً من الأمان لهم ولأولادهم، إذ كان همُّ الآباء ألا يتعرض أبناءهم من خلال القنوات الفضائية إلى ما يخدش الحياء، أو يثير الغرائز، أو يورث الشُّبُه، فكانت متابعتهم لأولادهم تأخذ جهداً كبيراً من اهتمامهم، إذ لا تكاد ترى في القنوات الفضائية بشكل عام برنامجاً مفيداً، أو فقرة مسلية، أو مسلسلاً اجتماعياً، إلا وفيه العديد من المخالفات الشرعية.

«قبل عام واحد كان الإنتاج المرئي السليم من الآفات قليلاً ومبعثراً، إضافة إلى كونه محصوراً في حدود الأشرطة المرئية، أو ضمن برامج معينة في بعض القنوات، كنا نفرح بميلاد الساعة المرئية النقية، نفتح لها صدورنا، ونبسط لها أرديتنا، وتحدث عنها زمناً، وزاد الأمر صعوبة قيام بعض المؤسسات الأهلية الكبرى بإطلاق باقاتٍ من القنوات، يدخلون بها ملايين البيوت، وعندها تضاعف هذا التحدي آلاف المرات، وأصبحت اللعبة التلفزيونية الفضائية خطراً داهماً، وشرطناً مخيفاً يفتك بالنفوس الغافلة، ويقتحم البيوت الآمنة، ويستطيع هز ثوابت المجتمعات خلال سنوات قليلة، - وهي التي تمسكت بها مئات السنين-، إلى أن ظهرت القناة المأمولة والمأمونة فأصبحت بحق الناقل الرسمي لتطلعات الناس إلى الناس، وأصبحت الشاهد الأول على عصر جديد من الصناعة التلفزيونية النقية التي تتعامل بواقعية ووعي مع ما يطلبه الجمهور».

وكانت قناة المجد قد رسمت أهدافها، وحددت جمهورها، «فاختارت أن تكون القناة الشاملة للأسرة العربية المسلمة، الشاملة بكل ما في الكلمة من توازن وتنوع، الأسرية بكل ما في الكلمة من ألفة ونقاء، وقد استحقت ذلك ليس لمجرد أنها تخاطب الرجل، والمرأة، والشباب، والأطفال، فهذا موجود في معظم القنوات، بل لأنها تخاطب هؤلاء جميعاً خطاباً آمناً أميناً، صحياً صحيحاً يحاكي سعيهم الدائم لتحقيق الطمأنينة في أفكارهم وسلوكهم».

كما اهتمت باختيار منهجية تسير عليها، وبخصائص تميزها عن غيرها، «فجعلت من نفسها مناخاً إعلامياً تترأى فيه جميع الأطياف المعتدلة، ويتمتع بحرية الحديث فيه كل من كانت له فكرة ضمن حدود الاعتبار من

الخلاف، كما أنها في المقابل، حافظت - ببراءة - على تحليقها الرائع في أجواء (المتفق عليه) ولم تنزلق إلى دهاليز التناقضات الضيقة، هذا الأمر جعلها - ربما - تخسر بعض الإثارة والإبهار، ولكنه أهلها لربح قدر كبير من التوازن دون أي تنازل».

كما اهتمت القناة بتشكيل مرجعية شرعية، تضمن لها السير على بصيرة، دونما انحراف أو تجاوز للحدود الشرعية، «فمنذ تأسيسها حرصت قناة المجد على تكوين لجنة شرعية موثوقة لضمان سلامة مرجعية القناة، ومن أعضاء هذه اللجنة الشيخ: عبدالله بن منيع، والشيخ عبدالله المطلق، وهما من أعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وكذلك الشيخ صالح الحصين، والشيخ عبدالعزيز المسند، والشيخ د. إبراهيم أبو عباة».

وكان لا بد للقناة التي اختارت لنفسها هذا الطريق الشاق، وهذه المنهجية المحافظة، أن تتميز ببرامجها عن غيرها من القنوات، وأن تحرص على سلامة موادها من المخالفات الشرعية، التي لا تخلو منها القنوات الأخرى.

وبما أن المشتغلين في قناة المجد من الخبراء الذين اعتادوا الصناعة التلفزيونية التقليدية، التي تحوي الكثير من المخالفات الشرعية، والعادات والقيم المستوردة، كان من الواجب على قناة المجد أن توجد حلاً لهذه العقبة، لضمان الحصول على شاشة نقية سليمة من التجاوزات والمخالفات، «وذلك بأن تستحدث قطاعاً توظيفياً جديداً لا يوجد لدى القنوات الأخرى - وقد كلفها الكثير -، وهذا القطاع مكون من عشرات المشرفين الذين يملكون رؤية واضحة لشروط ومعايير القناة، والذين تلقوا دورات تدريبية مكنتهم من التعامل مع الفريق الفني من أصحاب الخبرة التلفزيونية، بحيث يتواجد هؤلاء

المشرفون - حسب تخصصهم - في جميع مراحل إنتاج البرامج ، ويقومون بتوجيه دفعة الإنتاج لحظة بلحظة ، وفق سياسة المضمون المقررة في القناة ، وبهذا يتم التخلص من معظم الأخطاء قبل حدوثها ، وما هي إلا برهة - إن شاء الله - حتى نرى فريقاً فنياً محترفاً يحمل رؤية القناة وشروطها وضوابطها ، وينقل هذه الرؤية إلى الغير ؛ لتتسع الدائرة ، وتصبح هذه الأفكار الجديدة مع الزمن معايير معتمدة ومتعارفاً عليها على مستوى الإنتاج العربي - بإذن الله تعالى - .

وقد تميزت هذه القناة بتقديم البدائل المرئية والمسموعة المنضبطة بالضوابط الشرعية ، فأغنت الناس عن مشاهدة المحرم وسماعه ، فإلى جانب البرامج المميزة حرصت على إيجاد مؤثرات صوتية مباحة ، دون استخدام للألات المحرمة ، بل والمختلف فيها أيضاً .

ومع اختياري للاتجاه الذي يرى التوسع في الوسائل المختلف فيها (كالدفع) لتقديم البديل العصري المنافس - الذي تقدمه قناة الفجر الفضائية - ، إلا أنني أكبر تمسك القناة بمنهجيتها ، وحرصها على تعويض ذلك بما يتناسب مع رؤيتها ، حتى ولو كلفها ذلك المبالغ الكثيرة .

يقول كاتب المقال : « قبلت المجد هذه الحقيقة الفنية ، وتفهمتها جيداً ، ثم أعلنت عن مشروعها الذي أسمته (التحدي الكبير) ورصدت له مئات الألوف ، وهو مشروع (البديل الصوتي) الذي يهدف إلى إيجاد آلاف الخلفيات المؤسسة على الأصوات البشرية ، والتي تستفيد إلى أقصى الحدود ، من تقنيات التأثير والمزج والترتيب في البرامج الصوتية الرقمية ، لتحصل في النهاية نتائج تغطي جميع التأثيرات الصوتية المطلوبة في الأعمال الفنية ، وهي

حوالي عشرين تأثيراً نفسياً كما قسمتها الدراسات المتخصصة ، وخلال شهور استطاعت المجد بفضل الله عز وجل ، ثم بالتعاون مع عدد كبير من شركات الإنتاج العربية والعالمية -الذين استغربوا الفكرة لأول وهلة- أن تحقق هذا الهدف الذي كان يبدو يوماً ما مستحيلاً» .

وحرصاً من القناة على جمهورها من تعرضهم للقنوات التقليدية ، عملت على إيجاد تقنية جديدة تسمى بنظام (التشفير المعكوس) ، لحجب القنوات الأخرى دون القناة المستهدفة ، وبذلك تضمن لجمهورها الخصوصية ، فقامت «بتصنيع جهاز استقبال خاص بالقناة ، واستئجار مساحة للبث على قمر خدمات منعزل لا توجد عليه أية قناة أخرى (وهو القمر B٢) بحيث يتم توجيهه طبق - من الأساس - إلى غير الأقمار المزدهمة بعشرات القنوات» .

ومن البرامج البديلة التي قدمتها القناة :

* «(المجد) . . القناة العربية الوحيدة التي دشنت فترتها التجريبية بتقديم برنامج على الهواء مباشرة ، والبرنامج هو : (أسرة واحدة) .

* (المجد الإنجليزية) تقدم لأول مرة ترجمة فورية لمعاني القرآن الكريم ، مصاحبة لتلاوة أئمة الحرم في صلاة التراويح .

* إرسال (راديو دال) وهو أول محطة إذاعية عربية مخصصة للأطفال بالكامل .

* (المجد) تقدم رؤية أصيلة لرمضان في الإعلام ، وتبني شعاراً يعبر عن رؤيتها: رمضان فرصة لدخول الجنة .

* (المجد) تطرق باب الجماهيرية الواسع بياقة خاصة من البرامج الخفيفة والمنوعة .

* الحج يلقي بظلاله الوارفة على القناة، وتغطية الشعيرة العظيمة تأخذ أشكالاً متعددة تضع المسلمين في تلك الأجواء المباركة، ولا تكتفي بنقلها إليهم!

* الأطفال يحتفلون مع (المجد) بانتظام برامجهم ضمن فترة محددة، تغلفها شارة جميلة ومحبة.

* (المجد) تفتح نوافذ الحوار الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والأدبي، وحتى السياسي، بما يشبع نهم المتابع الجاد من مختلف النواحي، بأسلوب متوازن.

* فلسطين.. همأ وحلمأ، واقعأ وأملأ، تحضر في (المجد) أسبوعياً على الهواء مباشرة وبشكل دائم وفاعل يهتم بجوهر القضية، ويقف مع الأحداث ولا يتوقف عندها.

* أعذب الأناشيد تلامس أسماع الجمهور ومشاعرهم، من خلال برنامج خاص اسمه على مسماه.

* الفرح الطفولي يبلغ ذروته، و(المجد) تقدم للبراعم طائفة من البرامج والمواد الجديدة في شكلها ومضمونها، ونصيب أطفال (المجد) يصل رقماً قياسياً لم تحققه من قبل أية قناة غير مخصصة للصغار.

* تشكيلة جديدة من برامج التسلية والمسابقات تنضم إلى شاشة القناة.

* شمس (المجد) في الصيف تشرق على الجمهور لمدة سبع عشرة ساعة متواصلة.

* (المجد) تعطي طعماً جديداً للإجازة بما تعرضه من برامج تتفاعل مع الناس وتشاركهم أوقات المرح وعلى رأسها: فعاليات الصيف.

* القناة تضح مزيداً من المواد المفيدة والبرامج ذات البعد الجماهيري العريض ، ومنها (ساعة حوار) . . أول برنامج مباشر للقناة من مدينة الرياض .

* الجانب الإخباري يتكامل بتخصيص نشرة مفصلة للأخبار السياسية تضم ملحقاً اقتصادياً ونشرة جوية .

* الاقتصاد يدخل كمعلم جديد في خريطة القناة ، عبر برنامج شامل (الملف الاقتصادي) .

* أبدعت المجد في تحقيق مفهوم الخدمة الإعلامية لرمضان ، فقدمت عدداً وفيراً من الفواصل المبتكرة ، مثل الفاصل اليومي : انتبه . . بقي من الوقت ، وأيضاً : الأذكار الوامضة ، وكذلك : أوقات الصلاة في العواصم الإسلامية ، والأدعية المصورة ، وغيرها .

* انفردت المجد عن جميع القنوات بإفراد برنامج خاص للخسوف ، والتوقف للذكر والدعاء أثناء خسوف القمر الذي وقع ليلة الرابع عشر من رمضان .

* امتداداً لموقف المجد من التفجيرات والأعمال الإرهابية ، قامت القناة بتقديم برنامج (إجماع أمة) بعد تفجير المجمع السكني في الرياض ، واعتبر (إجماع أمة) من أفضل البرامج التي تناولت الحدث على مستوى الفضائيات العربية ، لأنه استمد منهجه من (الإجماع) الذي تعتصم به الأمة وترتضيه بجميع أطرافها الفكرية ، وشرائعها الاجتماعية .

* أطايب . . أصبح الحديث اليومي في فترة الظهيرة لربات البيوت من متابعي المجد . . ثلاثون يوماً ، بثلاثين زيارة لمطبخ أطايب .

* أكثر من مليونين و مئتي ألف ريال مجموع جوائز مسابقات المجد ،
وعلى رأسها المسابقة العالمية للثقافة الإسلامية : (لمن الكأس) ومسابقة : أسرة
واحدة ، وللأطفال : اربح مع فهم ، وأخلاق وحروف ، ويستأن الخير .

ومن أبرز ما يميز قناة المجد عن غيرها :

* «أنها القناة الأولى في العالم ، التي تنتج (أو تعيد إنتاج) كل ما تعرض .

* وهي القناة الأولى في العالم ، التي نجحت في تأسيس صناعة تلفزيونية
خالية من الموسيقى ، باعتماد تقنية البديل الصوتي المبتكرة .

* وهي أول قناة عربية تستخدم أسلوب تبسيط العلم الشرعي على نطاق
واسع ، وبعده طرق مبتكرة» .

ومن أبرز مواقفها :

«تنت قناة المجد مواقف واضحة وثابتة تجاه عدد من القضايا الكبرى
والأحداث الهامة ، تجلت في النقاط التالية :

* مناصرة قضية فلسطين ، قضية العرب والمسلمين الأولى ودعمها
إعلامياً ، عن طريق تغطيتها بكافة وجوهها السياسية والاجتماعية .

* عدم التعرض للنزاعات الثانوية بين الفصائل الفلسطينية ، والتركيز على
الصراع الرئيس بين المسلمين والاحتلال اليهودي .

* استضافة الفلسطينيين من كافة الأطياف ، بالشكل الذي يصب في
المصلحة العامة للقضية ويسهم في التعريف بحقيقة الصراع وخفاياه .

* الوقوف العلني والصريح ضد العدوان على أرض العراق وشعبه .

* مساندة الشعب العراقي بغض النظر عن السلطة التي كانت أو أصبحت،
تحكمه.

* الرفض الفكري لمنطق الهيمنة المفروضة على العراق والمنطقة .
* التعبير عن موقف حاسم وواضح يرفض أعمال التخريب ويدينها .
* مناقشة العديد من المفاهيم الهامة ، ومحاولة الوصول إلى تعريفات
محددة ودقيقة لها ، كما هو الحال مع مفاهيم : الجهاد ، والتكفير وغيرها .
* التأكيد على مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة في تعامل المسلم مع ما يحيط
به من أشخاص وأحداث ، والتذكير بالمنهج القرآني والهدي النبوي في هذا
المجال» .

ولم تهمل قناة المجد فئة الأطفال بل أولتها كل الاهتمام ، ووضعها نصب
أعينها ، فحازت المرتبة الأولى في العناية ، إذ لم يكن بمقدور القناة أن تصل
إلى المثالية في مخاطبة فئات المجتمع بأكملها ، فسددت وقاربت ، واختارت
الفئة التي تعتبرها بأمس الحاجة إلى الإعلام الهادف ، لينمي لديهم القدرات ،
ويظهر المواهب ، ويقوم السلوك ، ويربي النفوس ، والمتابع لبرامج الأطفال في
قناة المجد ، يدرك الجهد الكبير الذي تبذله القناة لمخاطبة الأطفال مخاطبة
واعية ، يتناسب وفكرهم وقدرة استيعابهم ، ويلامس مشاعرهم
واهتماماتهم ، ويعود عليهم بالفائدة في دنياهم وآخرتهم .

«ولتحقيق هذا الهدف -الأكثر سمواً- ، استعانت المجد بلجنة من
المستشارين ، عكفوا على تكوين باقة مرئية تليبي قادراً كبيراً من الاحتياجات
الفعلية للطفل ، وتوصلوا إلى نظام بديع يكفل تعليم الطفل كثيراً من الآداب

واللغة والمعارف العلمية، إلى جانب القرآن والحديث، وكل ذلك عبر البرامج المخصصة، والسلاسل الكرتونية، والفواصل والرسائل البينية التي يتعرض لها الطفل مراراً وتكراراً، فتتكون لديه منظومة معرفية، ومهارية، ووجدانية كبيرة ومتكاملة دون أدنى عناء من قبله، وهكذا أصبحت المجد تساعد الأسرة الحريصة على أبنائها، وتعينها على تربيتهم وتعليمهم. . وهكذا أيضاً انقلبت تربية التلفزيون لأبنائنا إلى منقبة بعد أن كادت تكون مثلبة بحتة».

ومع اهتمام المخلصين بالعديد من الوسائل الإعلامية، إلا أن الحرص على إيجاد بدائل تتعلق بالفن الإسلامي تكاد تكون ضعيفة، لا تلقى اهتماماً واضحاً، مع أهميتها وحاجة الطبيعة البشرية إليها، والأمر في الغالب يعود إلى نظرة بعض العلماء إلى هذا الموضوع على اختلاف ألوانه، واعتبارها من الأمور المحرمة، والبدع المستحدثة في الدين، كالنشيد، والتمثيل، والمسرحيات، إذ يرون أن الوسائل الدعوية من القضايا التوقيفية، التي لا مجال للاجتهاد فيها أو تطويرها، مما أثر سلباً في انتشارها والاهتمام بها. (١)

وليس المجال هنا لبيان حلّ الأمر أو تحريره، بقدر الحديث عن أهميته وآثاره، يقول الدكتور القرضاوي - حفظه الله - : «ولا مرء في أن الفن كالعلم، يمكن أن يستخدم في الخير والشرّ والهدم، وهنا خطورة تأثيره، ولأن الفن وسيلة إلى مقصد، فحكمه حكم مقصده، فإن استخدم في حلال فهو حلال، وإن استخدم في حرام فهو حرام» (٢).

(١) انظر التمثيل حقيقته وتاريخه وحكمه، بكر أبو زيد، دار الراجعية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢) الإسلام والفن، د: يوسف القرضاوي، ص ٨، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

والناظر في تاريخ التشريع الإسلامي ، يجد أنه اهتم بجانب الفنون غاية الاهتمام ، وذلك بلفت النظر إلى جمال خلق الله - عز وجل - وبديع صنعه ، ﴿صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (١) .

وجعل قراءة القرآن الكريم بطريقة فنية معينة تلتزم بأحكام التجويد وتهتم بمخارج الحروف ، وتحث على التغني بالقرآن وتحسين الصوت أثناء تلاوته . فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٢) .

كما أحيا العديد من أصناف الفنون وأنواعها ، وحرص على تمييز الحضارة الإسلامية بها ، فظهر فن الزخرفة والنقوش ، حتى أصبح اختصاصاً من الاختصاصات ، له مدارسه وأساليبه .

وكان للمساجد الإسلامية النصيب الأوفر من هذا الفن النادر ، الذي حرص المهتمون على تطويره وتحسينه ، إلى أن أصبحت المساجد صوراً فنية ، تُزار من غير المسلمين ، للاستمتاع بمناظرها الخلابة ، وألوان زخارفها الجذابة . وحظي الخط العربي بالاهتمام ، وظهر كفن له مدارسه وقواعده ، وتعددت أنواعه ، فهناك خط النسخ والثلث والرقعة والديواني والفارسي وخط الإجازة والتوقيع والسنبلي .

واشتهر بعض المسلمين بإجادة الخط ، وحصرت أسماؤهم ، ووصل

(١) سورة النمل ، آية رقم ، ٨٨

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : وأسروا قولكم أو اجهروا به ، رقم (٦٩٧٣) .

الاهتمام بهذا النوع من الفنون بأن جعل له سلسلة وسنداً ينتهي بالصحابي الجليل (علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -)، ثم إلى بشر بن عبد الملك و حرب بن أمية، وهما أول من أدخل الخط والكتابة إلى مكة^(١).

وإلى جانب هذا اهتم الدين الإسلامي بفنون القول والأدب من شعرٍ ونثرٍ وقصةٍ، فأصبح الشعر من أهم وسائل الدفاع عن الدعوة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، واستمع - عليه الصلاة والسلام - إلى قول الشعر، وأيد بعض ما قيل في الجاهلية من الشعر، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةٌ لِبَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»^(٢).

وهكذا نرى تأييده - صلى الله عليه وسلم - للشعر الملتزم وتشجيع أصحابه عليه، لإيجاد البديل عن الشعر المنتشر في الجاهلية، الذي يتضمن الهجاء القادح، والفخر الكاذب، والغزل الفاحش.

كما كان للقصة الهادفة نصيباً من الاهتمام في العصور الإسلامية المختلفة، وما زال الاهتمام بالقصة على اختلاف أنواعها قائماً من قبل المثقفين ورجال الأعمال وبعض الدول الإسلامية، وذلك بإجراء مسابقات وتحديد جوائز لأفضل قصة، ضمن شروط معينة، لتشجيع الأعلام الملتزمة على تقديم البديل النافع لأبناء المجتمع الإسلامي، كما اهتم بعض الدعاة والعلماء بالمشاركة في التأليف المسرحي، لشعوره بضرورة سد الفراغ في هذا المجال،

(١) الخط العربي، محمد طاهر الكردي، ص ٢٤٧، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، رقم (٣٥٥٣).

وحاجة الساحة الأدبية إلى المضمون المسرحي الهادف، حيث عمل الدكتور: يوسف القرضاوي، على تأليف مسرحية شعرية عن «يوسف الصديق» - عليه السلام -، ومسرحية تاريخية عن سعيد بن جبير والحجاج بن يوسف، وسماها «عالم وطاغية».

وإلى جانب الفن القولي والروائي، يبرز الفن المسموع الذي لا يقل أهمية عن غيره من الفنون المؤثرة في حياة المجتمعات، بل قد يكون من أهمها وأخطرها أثراً، وذلك لميل النفس البشرية لهذا الفن واستمتاعها بأنواع من آلات الطرب من ناحية، ولانتشار الفن المسموع المحرم الذي لا يلتزم بالضوابط الشرعية وإقبال الشباب عليه من ناحية أخرى، والذي يتحمل بعض العلماء العبء الأكبر لما وصل إليه حال المجتمعات من تساهل في هذا الأمر.

فقد ظهر في الساحة اتجاهان متباينان حول حكم سماع النشيد وما يصاحبه من إيقاعات ومؤثرات صوتية، ففريق يتشدد بالأمر، مانعاً أي نوع من أنواع الإيقاعات، دون مراعاة للخلاف حول بعض الآلات المصاحبة للنشيد (كالدف)، وفريق يتوسع في الأمر، مجيزاً للآلات التي ذهب الجمهور إلى تحريمها، والتي ورد فيها نصوص شرعية خاصة (كالكوبة والمعازف).

وتوسط بينهما اتجاه ثالث يتوسع في المختلف فيه إذا اقتضت المصلحة ذلك، ويمنع من المتفق على تحريمه، وقد كان لهذا الاتجاه الأثر الكبير في حث المختصين من المنشدين على إيجاد البديل الشرعي الذي يصرف الناس عن سماع المحرم، وذلك بتطوير الأصوات المباحة ودمجها لاستحداث إيقاعات تغني الناس عن الإيقاع المحرم، وانتشرت بفضل الله الأصوات الملتزمة،

والأناشيد الهادفة في العديد من الدول الإسلامية، التي كان لها التأثير الملموس في صرف الناس عما اعتادوه من السماع، فظهرت الأناشيد الهادفة على اختلاف موضوعها بإيقاعات ملتزمة، فاهتمت بعض المؤسسات بالأناشيد الحماسية، وأخرى بالمدائح والرقائق، وثالثة بالأفراح . . وهكذا .

ومن الواجب على الدعاة اليوم تشجيع البديل الفني بأشكاله المختلفة، والإعلان عنه، والدعاية له، ودعمه مادياً ومعنوياً، فهو أولى من التورع في مثل هذه القضايا في المجال العام، إذ القاعدة تقول: «المفضول قد يصير فاضلاً لمصلحة راجحة»^(١).

والى جانب هذا، لا بدّ من إحسان النظرة بمن يعمل في هذا المجال بالضوابط الشرعية، ما دام يريد تقديم البديل عن الحرام، إذا صلحت نيته، واستقام سلوكه، إذ يُعدّ دفع الحرام والشر عن المسلمين نوع من أنواع الجهاد، وضرب من ضروب العبادة .

(١) انظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج ٢٢، ص ٣٤٥، مكتبة المعارف، الرباط، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم .

* وانظر القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي، للدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني، العدد ٨٢، من كتاب الأمة، قطر، ١٤٢٢

الفصل الثالث

واقع طرح البديل المشروع في العمل الدعوي

(سلبياته وإيجابياته).

المبحث الأول : سلبيات إغفاله وضعفه .

المبحث الثاني : إيجابيات الاهتمام به .

المبحث الأول
سلبيات إغفال البديل المشروع وضعفه

الآثار السلبية

يترتب على كل عمل دعوي آثار ونتائج، تبرز مدى أهمية الموضوع وحاجة الناس إليه، وتبين ضرورة معالجة الأمر وخطورة التهاون فيه.

فكلما كانت الآثار السلبية أو الإيجابية تمس الجوانب الأساسية في المجتمع، كان للعمل أولوية خاصة على غيره من الأعمال، ومكانة لا يمكن تغافلها أو تأجيلها أو إهمالها.

ومن خلال ذكر الآثار السلبية لإغفال البديل المشروع أو إهماله، وإلقاء الضوء على الآثار الإيجابية، يمكننا أن نقف على أهمية هذا الأسلوب في العمل الدعوي المعاصر.

ومن أبرز الآثار السلبية المترتبة على إهمال أسلوب البديل المشروع :

١ - التهاون في ارتكاب المحرمات، والتساهل في التزام الواجبات، والوقوع في الشبهات، إذ لا يجد المسلم ما يغنيه عن المحرمات وما يصرفه عنها، وما يشبع رغباته المختلفة، فيصير عند البعض المحرم كالمكروه، والمكروه كالمباح، كما يصبح الواجب كالمستحب، وتهجر السنن والمستحبات وتعامل معاملة المباحات، وهذا ما نراه مترجماً في واقع حياتنا.

لذا اهتم التشريع الإسلامي بإيجاد بدائل عن الأمور المحرمة التي تميل

إليها النفس البشرية، وعوضهم عنها بما يلبي رغباتهم ويعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم.

كما يؤدي التهاون في ارتكاب المحرمات إلى فقدان هيبة الدين الإسلامي وحرمته في نفوس المسلمين، إذ إن تعاليمه العظيمة التي فيها صلاح الدين والدنيا صار من اليسير على بعض الأفراد هجرها ونسيانها دون أن يعني ذلك لهم شيئاً.

وتمتد آثار التهاون في ارتكاب المحرمات وأداء الواجبات من الأفراد إلى الأسر والمجتمعات والحكومات، فينتشر الفساد بثتى صورته وأنواعه، وتعم الفوضى، وتظهر الانحرافات.

ومن أضرار التهاون في الذنوب والمعاصي، ما يلي: (١)

أ- حرمان العلم، فالعلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئه، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي الإمام مالك - رضي الله عنهم أجمعين - أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

ب- وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، وبينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم.

ت- تعسير أموره، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه، أو متعسراً عليه.

ث- حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة الله لكفى، إذ يحرم بذلك الخير كله.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام شمس الدين بن قيم الجوزية، ص ٦٠.

١١١، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٨٩م. بتصرف.

ج- الوقوع في الذل والهوان بسبب المعصية، فإن العز كل العز في طاعة الله، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (١).

ح- انتشار الفساد في البر والبحر، وسائر الزروع والثمار والمساكن، يقول سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢).

خ- زوال النعم، وحلول النقم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣) وقد روي عن علي - رضي الله عنه -، أنه قال: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

إلى غير ذلك من الآثار الضارة بالفرد والمجتمع.

ولا يعني هذا أن البديل الصالح هو العلاج الوحيد من هذا الواقع، بل لا بد أن يصحبه التركيز على تنمية الوازع الديني في النفوس، وتقوية صلة العبد بربه، ومحاسبته لنفسه، إذ لا يغني أحد الأمرين عن الآخر.

٢- وجود حالة من الملل لدى بعض المسلمين، بسبب عدم التجديد في حياتهم وتقديم البدائل الملائمة لواقعهم، والمتفقة مع طبائعهم ورغباتهم، حيث إن النفس البشرية جبلت على حب التغيير، والشوق إلى الجديد.

ولهذا نرى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يوجهنا إلى الترويح عن القلوب، حتى لا تمل ولا تسأم.

(١) سورة فاطر، آية رقم (١٠).

(٢) سورة الروم، آية رقم (٤١).

(٣) سورة الشورى، آية رقم (٣٠).

والترويح عنها متعدد الصور والأساليب، ومن ضمنه إيجاد أمور بديلة مباحة يجدد الإنسان بها نشاطه، ويتقوى بها على طاعة ربه، وأداء واجباته.

ولهذا أنكر - عليه الصلاة والسلام - على الفئة التي امتنعت عن بعض المباحات وحرمت نفسها منها، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأنقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» (١).

فلم يحرم - عليه الصلاة والسلام - نفسه من هذه الأمور المشروعة، لتكون عوناً له على أداء الواجبات الشرعية، وتقبل التكليف الربانية.

٣- الخمول أو الفتور الدعوي، فغياب الاهتمام بأسلوب إيجاد البديل النافع من قبل الدعوة وجمودهم على القديم من الوسائل والأساليب، واعتيادهم على طريقة واحدة في الدعوة، يؤدي بدوره إلى نوع من الفتور لدى البعض، وشعورهم بنوع من اليأس من استجابة الناس لهم، ووصول الحال بهم إلى الاستسلام للواقع.

مع إنكارهم القلبي لما يرونه، دون أن يكلفوا أنفسهم البحث عما يصلح أحوال الناس، وما يصرف عنهم الوقوع في المخالفات، ظانين أن ذلك يعفيهم

١- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٤٦٧٥).

من المحاسبة الأخروية، وصار لسان حال بعضهم عند سماعه عن واقع المسلمين وضعفهم يقول «ليس لها من دون الله كاشفة» ليؤكد بذلك عجزه، ويريح ضميره، ويعذر نفسه، دون بذل الوسع في التفكير بطريقة العلاج، وإصلاح الفساد.

ولعل من أبرز أسباب الفتور الدعوي، النظرة الضيقة لمشروعية إيجاد البدائل في مختلف المجالات، واعتباره إحداثاً في الدين من جهة، ولغياب الآثار الملموسة من عملية الإصلاح من جهة أخرى.

٤- إعجاب بعض المسلمين بحضارة الغرب، وزهدهم بالحضارة الإسلامية، لظنهم أن الحضارة الإسلامية لا تلبي احتياجاتهم، ولا تستطيع مواكبة المتغيرات في مختلف المجالات، مع أن من أبرز سمات التشريع الإسلامي أن جَمَعَ بين الثبات والمرونة، بحيث يحافظ على المبادئ والكليات، ويتيح المجال للتطوير والإبداع في الفروع والجزئيات، ومن القواعد الشرعية التي تبرز هذه الخصيصة:

أ- لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان،^(١) وهذه القاعدة الفقهية تفتح المجال واسعاً أمام الدعاة إلى تطوير أساليبهم ووسائلهم بما يتناسب مع واقعهم، والظروف المحيطة بهم، فما كان مستخدماً قبل زمن قد لا يكون ناجحاً ومؤثراً في العصر الحاضر، « فكل ما هو في الشريعة يتبع العوائد: يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة »^(٢).

(١) مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٤، طبع المطبعة الشرقية، لبنان، ١٩٠٥ م.

(٢) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، للقرافي، ص ٢٣٢، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٦٧ م.

يقول الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني: «ولو تفهم الناس عامة والدعاة خاصة هذه القاعدة على حقيقتها، لعملوا على تغيير كثير من آرائهم واجتهاداتهم الدعوية وغيرها، التي قامت على مصالح زمنية متطورة أو أعراف محلية متغيرة، مما يحقق للدعوة الإسلامية أصالتها ومعاصرتها، ويخرج بها عن الجمود في جانب المناهج البشرية، والأساليب والوسائل، المتغيرة»^(١).

ب- الأصل في الأشياء الإباحة،^(٢) «ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الإسلام ضيقاً شديداً، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً، ذلك أن النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً بالنسبة إلى المباح، وما لم يجيء نص بحله أو حرمة، فهو باق على أصل الإباحة، وفي دائرة العفو الإلهي... وأحب أن أنه هنا على أن أصل الإباحة لا يقتصر على الأشياء والأعيان، بل يشمل الأفعال والتصرفات التي ليست من أمور العبادة، وهي التي نسميها «العادات أو المعاملات» فالأصل فيها عدم التحريم وعدم التقيد إلا ما حرمه الشارع وألزم به»^(٣).

ج- الضرورات تبيح المحظورات،^(٤) وهذه من القواعد التي تبين رحمة الدين الإسلامي باتباعه، واهتمامه بمراعاة ظروفهم المختلفة، حتى لا يوقعهم

(١) القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي، د: محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٣٠.

(٢) القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، ص ١٠٧، دار القلم، دمشق، ١٩٩١ م.

(٣) الحلال والحرام في الإسلام، د: يوسف القرضاوي، ص ٢٣، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة عشر، ١٩٩٤ م. بتصرف.

(٤) مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢، ٧٢٦١.

بالحرج والضيق، «وهي من الأصول المحكمة الأصيلة في بناء الفقه الإسلامي، وهي دليلٌ في ذاتها على مرونة الفقه ومدى صلاحيته واتساعه لحاجات الناس»^(١).

د- يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد^(٢)، فالشرع يتسامح في باب الوسائل، فيجيز بعض الأفعال التي لا يتسامح بمثلها في باب المقاصد، وبهذا يفتح المجال واسعاً أمام تطويرها وإيجاد الملائم منها للواقع.

فمثل هذه القواعد والضوابط الشرعية، تضمن للدين الإسلامي استمراريته، وإمكانية تطويره وتحسين صورته، وتفوقه على الحضارات الأخرى، وإظهار مزاياه للعالم بأسره.

ولا ينقصه سوى اهتمام الدعاة به، وحرصهم على تقديم البدائل المشروعة في مختلف المجالات، لينافسوا غيرهم من الحضارات، فصورة الإسلام مرتبطة بالتزام أبنائه، وفتوى علمائه، ونشاط دعائه، فبحرصهم واجتهادهم تشرق شمس الإسلام، ويشع نور حضارته على سائر الأديان، وبتكاسلهم وتهاونهم يخبو نوره وتغيب شمسهم، ويوصف بالتخلف والرجعية أتباعه.

٥- الشعور بالدونية وعدم الثقة بالنفس، فالمسلم يجد نفسه غير قادرٍ على معاشية الواقع، ويرى أن من المستحيل الوصول إلى ما وصلت إليه المجتمعات

(١) القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، ص ٢٧١، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

(٢) هذه القاعدة ذكرها الإمام السيوطي، في كتابه الأشباه والنظائر، ص ١٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

الأخرى، فيستسلم للواقع الذي يعيشه، ويرضى بالدونية والتخلف، ويشعر بالضعف والتخوف، لما يشاهده من إنجازات كبيرة من قبل الشعوب الأخرى. مع أن الدين الإسلامي غني عن غيره من الأديان، له مبادئه وتشريعاته التي تضمن لأتباعه التميز عن غيرهم، والتفوق على من سواهم، على مدى العصور والأزمان.

إلا أن هذا الشعور من قبل بعض المسلمين يعود إلى عدم فهمهم لطبيعة هذا الدين العظيم، ولما يشتمون للحال التي آل إليها أمر الإسلام والمسلمين. ولمعالجة هذا الشعور، لا بد من تنمية الاعتزاز بهذا الدين العظيم لدى المسلمين، وبيان عظم الإسلام ومزاياه وخصائصه التي تهتم بأمر الدين والدنيا.

ونشر روح التفاؤل، والتركيز على مواطن النجاح في التاريخ الإسلامي، ومناقشة نقاط التقصير والإخفاق في جلسات خاصة تضم الدعاة والمثقفين، بحيث لا يشارك فيها عوام المسلمين.

ومن الخطأ الذي يقع فيه بعض الدعاة اليوم تركيزهم على الإخفاقات والأخطاء التي وقعت فيها الأمة الإسلامية أمام العوام، والمبالغة في - جلد الذات -، لدرجة توصل إلى تبليد الحس، والرضى بالذل، وتُسعر السامع بأن إصلاح الأخطاء بات أمراً عسيراً، وأملاً بعيداً، لا يتحقق إلا بمعجزة ربانية، أو بكرامة إلهية.

٦- ضياع وقت كثير من الشباب فيما لا ينفع، فالناظر في حال شباب المسلمين اليوم، يرى ما سببه الفراغ في حياتهم، من أضرار على الأفراد

والمجتمعات، وانتشار للمعاصي والمنكرات، والجرائم والآفات، وضياع للمواهب والقدرات.

فالنفس البشرية إذا لم يشغلها المرء بالحق شغلته بالباطل، والشاب المسلم إذا لم يجد ما يميلأ وقت فراغه بما هو نافع له ولأتمته، اتجه إلى تقضية الساعات والأيام بما لا فائدة منه.

ومن هنا كان لا بد من إشراك الشباب في اقتراح الحلول لعلاج المشكلات التي يعانون منها، والتفكير معهم لإيجاد البديل المناسب الذي يغنيهم عن الحرام ويشغلهم بالنافع المفيد.

وإشغال وقتهم بالتفكير في إصلاح واقعهم وحفظ أنفسهم، للحد من انتشار الانحرافات والمخالفات، ولتوجيه القدرات والطاقات.

فئة الشباب هي الأقدر على اختيار البدائل العملية التي تلبى الاحتياجات وتعوض عن المحرمات، لكونهم يعيشون الواقع، ويواجهون العقبات، ويتعرضون للمشكلات.

٧- ضعف المجتمعات الإسلامية وركونها واعتمادها على غيرها، فكلمنا كان المجتمع متمسكاً بدينه، راضياً بتعاليمه، محترماً لقوانينه، زاد قوة ومكانة على سائر المجتمعات، وهابه أعداؤه، واحترموا أبناءه، وحذروا من إظهار العداوة له، وكلما ابتعد الناس عن تعاليم الدين الإسلامي، وانشغلوا بدينامهم عن دينهم، هان أمرهم، وسلط الله عليهم عدوهم، فعن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَّمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ

غَاء كَغَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الرُّهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْإِنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (١).

ويصبح من اليسير عندئذ بث المبادئ الفاسدة، والأفكار المنحرفة، والتقاليد الدخيلة، بين أبناء المجتمع الإسلامي، فيخطو المجتمع بذنك نحو الانحلال خطوة، إلى أن يصل المرء إلى درجة لا يعرف فيها عن الإسلام إلا اسمه، وعندها يفقد دينه ودينه، ويصبح عالة على غيره من المجتمعات الكافرة، لا يستطيع العيش بدونهم، ولا التخلي عن خبراتهم، لاعتماده على صناعاتهم ونتاجاتهم.

كما لا يمكنه الاستقلال عنهم لأنه لا يمتلك مقومات الحياة الأساسية إلا بمساعدتهم، لذا كان الاهتمام بأسلوب إيجاد البديل خطوة أولية وركيزة أساسية لإنقاذ المجتمع المسلم من التبعية والضعف الذي يعيشه، إذ إن إيجاد البدائل أسلوب من أساليب الإصلاح، الذي يبعد المجتمع عن المخالفات، ويقوي صلة الناس بربهم، ومن هنا تبرز أهمية هذا الأسلوب، وأثره في استقلالية المجتمع الإسلامي عن غيره.

إلى غير ذلك من سلبيات لا تخفى على المتتبع لأحوال المسلمين.

١ - سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، رقم (٢٧٤٥).

المبحث الثاني
إيجابيات الاهتمام بالبديل المشروع

الأثار الإيجابية

من خلال إلقاء الضوء على أسلوب إيجاد البدائل المشروعة، والنظر في حاجة المجتمعات إليه، ومدى تأثيرهم به، والاستفادة منه، يتبن لنا أهميته في العمل الدعوي، وضرورته في عملية الإصلاح الاجتماعي.

ومن أبرز الأثار الإيجابية، التي تبرز مكانته الدعوية :

١- إبراز الدين الإسلامي بصورة مشرقة، فلا يخفى على أحد ما وصل إليه حال الإسلام والمسلمين، وصورته في عيون الديانات الأخرى، بأنه دين التخلف والرجعية، ودين التشدد وكبت الحرية، مع أنه يحوي كنوزاً من التشريعات تجعله ديناً يضمن للبشرية التميز والسعادة الدينية والدنيوية.

ومن الأمور التي تظهر مزاياه وتبرز خصائصه، العناية بأسلوب إيجاد البدائل في شتى مجالات الحياة، وتقديم الحلول الملائمة للعصر الذي نعيشه، وتجديد أساليب الدعوة الإسلامية ووسائلها ومناهجها البشرية، لتنافس بذلك غيرها من الدعوات الضالة، والأفكار المنحرفة، التي تبذل قصارى جهدها في تقديم الجديد، وتحرص على التفنن في استحداث الوسائل والأساليب.

إن الدعوة الإسلامية تستحق من أتباعها أن يُقدّم لها أضعاف ما يبذل لغيرها من سائر الدعوات.

فليس من الصواب أن نستمر في الدفاع عن ديننا العظيم نظرياً، ونرضى

بالواقع الأليم عملياً، فالدفاع عن هذا الدين مرحلة من المراحل لا بدَّ أن نتجاوزها لنصل إلى درجة الصدارة التي لا يهملها الاتهامات المغرضة ولا الشبهات المثارة، إذ إن إبراز الدين الإسلامي على حقيقته كفيلاً بأن يزيل عنه كل اتهام، وأن يحو كل الأوهام.

وإنَّ ما يقدمه العلماء والدعاة والمختصون من بدائل اقتصادية واجتماعية وتشريعية وإعلامية، يساعد على هيمنة الإسلام على جميع نواحي الحياة، وتفوقه على المشاريع التقليدية الموجودة في المجتمعات، كما يعمل على إقناع المسلمين وغير المسلمين بصلاحيته تطبيق هذا الدين في كل زمان ومكان، وإمكانية مواكبة التطورات والمتغيرات التي تطرأ على المجتمعات المختلفة.

٢- تعظيم حرمة التعاليم الإسلامية في قلوب المسلمين، حيث يجد المسلم من البدائل المتنوعة ما يصرفه عن ارتكاب المحرمات، وما يعينه على الالتزام والتمسك بما شرع الله، فيشعر أن هناك من المباحات والمستحبات والواجبات ما يغني عن سائر الممنوعات، بل يعود عليه بالفائدة الدينية والدينية، فتعظم في قلبه المخالفات الشرعية، وتأبى نفسه الوقوع فيها.

أما إذا لم يجد المرء ما يسدُّ حاجته وما يلبي رغباته، من الأمور المباحة، راحت نفسه تبحث عن مبتغائها في المكروهات ثم في المحرمات، وهكذا إلى أن يهون عليه عمل السيئات وارتكاب المخالفات، بل قد يصل به الحال إلى التعود عليها وممارستها دون أن يشعر بتأنيب ضمير، أو محاسبة نفس.

وقد يضطر المسلم أحياناً -دون رغبة- إلى الوقوع في منكرٍ من المنكرات لعدم وجود بديل عنه في مجتمع من المجتمعات، كالتعامل مع البنوك الربوية

لعدم وجود بنوك ومصارف إسلامية، فتراه يعيش في ضيق وقلق، من جراء عدم إمكانية التوفيق بين متطلبات الحياة ومتطلبات الشريعة الإسلامية، فيقع في تناقض واضطراب، ينعكس سلباً على فكره وسلوكه ونظرته إلى الدين الإسلامي.

ومن هنا تبرز لنا أهمية الحرص على تفعيل أسلوب إيجاد البدائل في الدعوة الإسلامية، والاهتمام به لتنمية الوازع الديني لدى المسلمين، ومساعدتهم على التمسك بالشرائع وتعظيم التعاليم.

٣- إشباع حاجة الفرد المسلم الجسمية والروحية، إذ إن إيجاد البدائل الناجحة، وتعويض الناس عن المحرمات بأمور مباحة، في مختلف المجالات التي يحتاجون إليها في حياتهم، واجب من واجبات العلماء والدعاة، تساعد الأفراد على ترك المحظور، وفعل المأمور، كما أنها تساهم في راحتهم النفسية واستقرارها، وتبعد عنهم الضيق والتوتر.

يقول ابن قيم الجوزية في فصل يتحدث عن فوائد تتعلق بالفتوى: «من فقه المفتي ونصحته إذا سأله المستفتي عن شيء فمنعه منه، وكانت حاجته تدعوه إليه، أن يدلّه على ما هو عوض له منه، فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح، وهذا لا يتأتى إلا من عالم ناصح مشفق قد تاجر الله وعامله بعلمه، فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما ينفعه، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان»^(١).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ج ٤، ص ١٥٩، دار الجليل، لبنان.

وقد حرص الإسلام أشد الحرص على استقرار الفرد وراحته الجسمية والنفسية، فلم يكلفه لشارع بما لا يستطيع فعله، ولم يحمله ما يعجز عن حمله، يقول سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١).

كما أنه راعى حاجاته النفسية، فلم يكتبها أو يتجاهلها، بل هيأ له كل ما تحتاج إليه النفس البشرية في هذه الحياة ليشعر بالسعادة والاطمئنان، في عباداته ومعاملاته، ويفتح المجال واسعاً لاستحداث أمورٍ تناسب العصر الذي يعيش فيه.

وبهذا تظهر عظمة الإسلام، وصلاحيه تعاليمه وأحكامه لكل فرد من الأفراد، ولكل مجتمع من المجتمعات.

وما على الدعاة إلا أن يفهموا مقاصد الدين الحنيف، ويعملوا على تحقيقها بالوسائل والأساليب المناسبة، لملء الفراغ الروحي لدى الناس.

٤- تنمية مهارات الأفراد والمؤسسات، فينتج عن الاهتمام بأسلوب إيجاد البدائل تنمية مهارات الأفراد والمجتمعات، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بالتفكير بمشاريع وأعمال تخدم الأمة الإسلامية في دينها ودنياها.

فالرضى بالواقع وإغلاق الذهن عن التفكير في استحداث أمور تخدم الأمة الإسلامية والفرد المسلم، وتعيينه على ممارسة حياته اليومية بشكل طبيعي، يؤدي إلى جمود الفكر وخموله، مما يؤثر سلباً على حياة المجتمعات الإسلامية.

أما إعمال الذهن وإشغاله في تقديم البدائل المفيدة للأفراد والمجتمعات، سيكوّن فكراً مبدعاً، وعقلاً واعياً، يخدمان البشرية جمعاء.

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٨٦).

ولا بدّ أن يصاحب الاهتمام بالجوانب النظرية، الاهتمام بالجوانب العملية والتدريبية، التي نفقدها في كثير من علومنا، إذ أغلب ما يدرّس للطلبة اليوم يُركّز على النواحي النظرية، وتهمل فيه الأمور التطبيقية إهمالاً كبيراً.

على العكس من منهجية الغرب التعليمية التي تهتم بالجوانب التطبيقية اهتماماً بالغاً، وتحرص على توجيه الطلبة وتعليمهم من خلال أعمالهم ودوراتهم التدريبية.

ولهذا تقدموا تقدماً ملحوظاً في التقنيات الحديثة، وتفوقوا في الابتكارات المتنوعة على المسلمين، حتى اعتمد المسلمون عليهم في كثير من الأمور الكبيرة والصغيرة.

٥- تنشيط الحركة الدعوية والاقتصادية، كما ينتج عن الاهتمام بأسلوب إيجاد البدائل تنشيط للأحزاب والجماعات الإسلامية، وذلك بإيجاد روح المنافسة فيما بينها لتقديم أفضل الأساليب والوسائل الممكنة، وأنجح المناهج المتبعة.

فكل جماعة تحرص على استحداث ما يساعدها على تبليغ رسالتها، وما يعينها على إيصال دعوتها للناس، ويُمكنها من تطبيقها في واقع حياتهم.

ويتكامل هذا النشاط بحرص كل مؤسسة دعوية على تقديم البديل الذي ينسجم مع اهتماماتها الدعوية.

فمن يهتم بالجانب الاقتصادي يبذل وسعه في تطويره وتفعيله، ومن يختص بالجانب الإعلامي يحرص على تنقيته وتحسينه، ومن يعمل في الجانب الاجتماعي يحافظ على تماسكه وترابطه، وهكذا.

كما ينتج عن تنشيط الحركات الدعوية في هذا المجال، تنشيط للجانب الاقتصادي، من خلال تأمين فرص عمل للشباب المسلم، وتقوية الصناعات، المختلفة في البلاد الإسلامية، وتبادل المنتجات والخبرات بينها وبين الدول الأخرى.

٦- الحفاظ على الترابط بين المجتمعات الإسلامية، كما ينتج عن ذلك بناء جسر لتبادل الخبرات بين المجتمعات، في مجال البدائل وغيرها، والاستفادة من تجارب الآخرين ووقائعهم الدعوية.

فنجاح بديل من البدائل في مجتمع من المجتمعات قد يسهل المهمة لغيره أو يعينه على تطويره وتحسينه على وجه يتناسب مع حال المجتمع الآخر وطبيعته. فمن خلال تبادل الخبرات والتجارب تقوى صلة المجتمعات بعضها ببعض، ويتحقق التماسك والترابط، ويعم الإخاء والتناصح.

كما أن حرص كل دولة من الدول على إعطاء خبراتها للآخرين، وبذل مشاريعها الدعوية لهم، يساعد على نشر جو من التآلف والتحابب والتوادد بين الشعوب الإسلامية، الأمر الذي حثنا عليه رسولنا الكريم - عليه الصلاة والسلام -، حيث قال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضُوًّا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى» (١).

٧- الشعور بأهمية دور المسلم في الحياة، وبناء الشخصية المعترزة بدينها، فالإنسان في هذه الدنيا مخلوق لعبادة الله - عز وجل - ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)، ويستشعر أهمية وجوده، ومكانته فيها بأداء الواجبات،

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٥٥٥٢).

(٢) سورة الذاريات، آية رقم (٥٦).

المفروضة عليه، وترك المنهيات المحرمة، والبحث عن البدائل المشروعة الصالحة للتطبيق، إلى جانب قيامه بالأعمال الدنيوية الخاصة والعامة التي ^ويبتغى به وجه الله .

فمن رحمة الله بعباده أن جعل العادات المتغيرة، وممارسات المسلم اليومية المتنوعة، قابلة لأن تتحول إلى عبادات، ليشعره بأهمية وجوده في هذا الكون، فليس من العقل أن يضيع الإنسان ما يقوم به من أعمال هباءً منثوراً، دون أن يحولها إلى عبادات، تنفعه في دنياه وأخراه .

ومن خلال ذلك تنبعث في نفسه العزة بهذا الدين، والفخر بما يمتلك من تعاليم، فتراه لا يقبل الوقوع في الموبقات، ولا الخضوع للشهوات، ولا التهاون في المنكرات .

بل يحرص على المحافظة على دينه عن طريق إيجاد البدائل المشروعة، التي تجنبه الزلل، وتبعده عن مواطن الخلل، وتنمي الشخصية المسلمة التي لا ترضى بديلاً عن دينها الحنيف، لما يحويه من خصائص ومميزات تعين المسلم على التمسك بدينه، والاعتزاز بشخصيته المسلمة .

إلى غير ذلك من الإيجابيات التي تنعكس آثارها على الفرد والمجتمع .

الفصل الرابع
معالم وضوابط إيجاد البديل

ضوابط إيجاد البدائل

توطئة

لا بد لضمان نجاح أسلوب البديل، وجني ثماره وآثاره، أن يكون ملتزماً بضوابط توجه مساره، ومعالم تحدد اتجاهه، وتبعده عن الوقوع في الخطأ.

إذ الموضوع في غاية الدقة والخطورة، لتعلقه بأمر من أمور الدين، ولكونه أسلوباً من أساليب الدعوة الإسلامية، التي قد يتطرق إليها شيء من التجاوزات الشرعية بالتوسع فيما لا يجوز، أو المنع والتضييق فيما يكون المجال فيه واسعاً، خوفاً من الإحداث في الدين.

وكلا الأمرين يؤثران سلباً في مشاريع إيجاد البدائل الناجحة، والصالحة للتطبيق في هذا العصر من جهة، كما يؤثران سلباً في عملية الإصلاح الاجتماعي بشتى جوانبه من جهة أخرى.

لذا كان من الأهمية بمكان وضع ضوابط تضمن لهذا الأسلوب نجاحه، وتحقيق أهدافه، ومن هذه الضوابط التي تبلورت لدي بعد تأمل وتفكير، ومشاورة لبعض الدعاة والمصلحين ما يلي:

١- أن يكون البديل ملتزماً بالضوابط الشرعية، مراعيّاً للعادات الاجتماعية والأخلاق الإسلامية، قريباً ومنسجماً مع الواقع الذي نعيشه.

وهذا شرط أساسي في نجاح البديل الإسلامي، فلا يمكن أن نسميه بديلاً عن الحرام، وهو بحد ذاته يشوبه الكثير من الأمور المحرمة، التي

تخرجه عن كونه بديلاً صالحاً للناس ، يساعدهم على ترك المنكر ، والبعد عما فيه شر .

بل قد يكون من الأفضل ترك الناس على ما هم عليه من المخالفات ، إن لم يكن باستطاعة الدعاة والمصلحين إيجاد بديل خالٍ من المخالفات الشرعية ، مع تنبيههم على خطورة ارتكاب المحرمات ، وآثارها الضارة في الفرد والمجتمع .

وينبغي أن يُركِّز العمل في هذه الحالة على تخفيف المخالفات في الأمر نفسه ، وتعزيز المراقبة الذاتية لله - عز وجل - ، وتقوية الوازع الديني ، دون الانشغال في البحث عن بديل لا يلبي الغرض المطلوب .

كما يجب أن يكون البديل منسجماً مع الأخلاق الإسلامية ، مراعيّاً للأعراف والعادات الاجتماعية ، بحيث يكون مألوفاً وجوده بين الناس ، ليتمكنوا من الاستفادة منه ، وليستطيعوا ممارسته والتعايش معه ، لأن فطرة الإنسان النقية تنفر من كل انحراف ، وتمجُّ كل انحلال ، وتميل إلى ما فيه الخير لدنياها وأخرها .

٢- ألا يقتصر أو يختص بجنس دون الآخر ، بل يجب الاهتمام بكلا الجنسين ، ليؤدي بذلك الهدف المنشود منه ، وهو صرف الناس عن المحرمات ، سواء كانوا رجالاً أم نساءً .

كما ينبغي أن يراعى في البديل طبيعة كل جنس وخصائصه واهتماماته ، فما يكون هاماً عند الرجال مثلاً ، قد لا يعني شيئاً لدى النساء ، والعكس صحيح .

كما لا يصح أن تغفل المراحل العمرية لكل جنس ، لضمان نجاح البديل ، وتأثيره في المجتمعات .

فالبديل الذي يخاطب فئة الأطفال يتميز بأسلوب معين ، وطريقة عرض مشوقة ، ويبحث عن اهتمامات الطفل في هذه المرحلة ، ليلبي له رغباته .

والبديل الذي يوجه لفئة الشباب يختلف عن غيره بمضمونه وأسلوبه وطريقة عرضه .

ولهذا حرص الدعاة والمصلحون على إيجاد مؤسسات خاصة بالنساء وأخرى تخص الرجال وثالثة تهتم بالبراعم والأطفال ، لكي لا يُشَتَّ الجهد ، وتختلط الأعمال .

ومن الأهمية بمكان اختيار الدعاة والموجهين الملائمين ، لفئات العمر المختلفة ، فهناك البارزون والمبدعون في إيجاد بدائل للصغار ، وهناك من ينجح في الاهتمام بفئة الكبار ، فاختيار الداعية المناسب لفئة معينة يساعد على نجاح عملية الإصلاح بشكل عام ، وتفوق أسلوب إيجاد البدائل بشكل خاص .

٣- أن يكون القائم بهذا المشروع أهلاً للقيام بهذه المهمة ، يجمع بين سعة الأفق واستنارة الفكر وعمق الفهم لواقع أمته ، ليتمكن من إيجاد البديل المناسب لحال أمته ، الملائم لظروفها ، فليس من اليسير أن يعي الداعي حال أمته ، ويفقه واقعها ، ويعمل على دراسة أمراضها ، وتحليل أسبابها ونتائجها ، واقتراح سبل علاجها ، وتحديد الدواء الناجع لدائها .

والناظر في الساحة الدعوية ، يتبين له فقر الدعوات الإسلامية من أمثال

هؤلاء، وعند وجودهم يجد آثارهم محدودة، وأنشطتهم ضئيلة، بسبب الأوضاع التي يعاشونها في دولهم، والأنظمة التي تكبل مساعيهم، ولو فتح المجال لهم، وأعطوا شيئاً من الحرية، لتبدل حال المجتمعات الإسلامية، وتغير واقعها، وصلح أمرها - بإذن الله - .

فكثيراً ما يتحرج الدعاة من نشر أفكارهم، ومن العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة المنتشرة في مجتمعاتهم، وبذل الجهد في إيجاد بدائل تعين على إصلاح أوضاع المجتمع الإسلامي، نظراً للمنهج الذي تتبعه دولتهم، والرؤية التي تسير عليها، بحيث لا ترضى بوجود غيرها في الساحة، ولا تسمح بمخالفة منهجها الذي تسير عليه، بل تصف المخالف لها في الرأي بالضلال والانحراف، وقد تعمل على تلفيق التهم والأكاذيب حوله، نتحجيم عمله، وتمديد نشاطه .

ومما يزيد الطين بلةً، دعم بعض الدعاة لهذا الموقف - من حيث لا يشعرون-، وتشجيعهم للقائمين عليه، ورضاهم بنتائجه السلبية على الأمة الإسلامية، بدلاً من دفاعهم عن إخوانهم، والعمل على تقريب وجهات النظر التي تبعدهم عن بعضهم، وتحسين صورتهم عند دولهم وحكوماتهم، ليتم التعاون فيما بينهم على إصلاح مجتمعاتهم، والوقوف يداً واحدة أمام مخططات أعدائهم، وتقديم البدائل المناسبة في مختلف المجالات التي تحتاج إليها مجتمعاتهم وحكوماتهم .

أما سياسة الرأي الواحد ورفض وجهات النظر الأخرى، وعدم قبول الانتقاد، يجرُّ على الحكومات أهوالاً هي في غنى عنها .

فلا بدّ من الاستفادة من الدعاة على مختلف مشاربهم، وتعدد

اتجاهاتهم، لتقديم أفضل المناهج والأساليب والوسائل لعملية الإصلاح الاجتماعي بمفهومه العام.

٤- أن يبنى على موازنة دقيقة بين المفسد والمصالح، فلا يصح أن يترتب على إيجاد البديل الوقوع في محرم آخر، أو يجرّ على المسلمين ضرراً أكبر أو مفسدة أعظم، إذ على الداعية أن يكون حكيماً، واعياً بواقع أمته، يمتلك القدرة على الموازنة بين المصالح وأمثالها، وبين المفسد والمصالح، وبين المفسد وأمثالها، باختيار أصلحها وأخفها ضرراً.

وما أفقه الإمام ابن تيمية - رحمه الله -، في نظره الواعية لما يتعلق بالموازنة في أسلوب إيجاد البدائل، إذ ضرب لذلك مثلاً لعادة الاحتفال بالمولد النبوي، مستحباً إبقاء الناس على ما هم عليه - على الرغم من رأيه ببدعية المولد - إلى أن يستحدث لهم بديلاً مشروعاً، فيقول:

«فلا تدعو إلى منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير، فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله، أو إلى خير منه . . . فتعظيم المولد واتخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ، . . . فهو لاء إن لم يفعلوا هذا تعودوا على الفساد الذي لا صلاح فيه، . . . فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفسد، بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند المزاخمة»^(١).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ص ٢٩٦-٢٩٨، تحقيق محمد حامد الفقي، مطابع السنة المحمدية، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ هـ. بتصرف.

فما أحوج الدعاة في عصرنا إلى هذا الفقه، مع انتشار أمارات حرمات، واختلاط المباحات ببعض المنوعات، وعموم البلوى في مختلف جوانب الحياة.

٥- أن يعمل على تعميمه ليشمل جميع جوانب الحياة التي يحتاج إليها المسلم، فيشمل الجوانب الاجتماعية والإعلامية والفنية والاقتصادية وغيرها، ويعمل على نشر البدائل بين أبناء الأمة الإسلامية، لتغطي جميع احتياجاتهم ورغباتهم، وتسد الفراغ لديهم، ولكي يشعر أبناء المجتمع المسلم بالراحة النفسية من خلال تطبيقه لأحكام الدين العظيم، وبيان عمليته وصلاحيته لكل زمان ومكان، وشموله لجميع جوانب الحياة، الأمر الذي يحسن صورة الإسلام، ويبرز مكانة المسلمين.

أما في حالة قصور الإمكانيات المادية والبشرية وعدم استطاعة الدعاة القيام بجميع جوانب الحياة التي تهتم الإنسان المسلم، ويحتاج إليها في حياته اليومية والمعيشية، وإيجاد البدائل لها، فإن عليهم أن يبدؤوا بأهم الجوانب المتيسرة، وألحها ضرورة، وأكثرها تأثيراً.

إلى جانب الاهتمام بتطوير القوة المادية، وإعداد الطاقات البشرية، لتغطي الجوانب الأساسية، التي لا غنى للمسلم عنها.

كما ينبغي تعميم البدائل ونشرها بين الدول الإسلامية المتعددة، للتعاون على الخير، وتقديم يد المساعدة للآخرين في هذا المجال وغيره، تعزيزاً للروح الأخوة والتعاون فيما بينها، وتفادياً للأخطاء والسلبيات المترتبة.

٦- ألا يكون البديل شعاراً لغير المسلمين، يتعلق بعبادة من عباداتهم، أو عادة من عاداتهم التي تميزوا بها عن غيرهم.

ولا يعني هذا عدم جواز الاستفادة من خبراتهم، والتعلم من إنجازاتهم، وأخذ ما يفيد الأمة الإسلامية ويخدم أبنائها في حياتهم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا» (١).

فلا حرج من الاستفادة من خبراتهم، ودراسة مشاريعهم، والنظر في إنجازاتهم، والتعرف على أساليبهم ووسائلهم، لتطويرها وتعديلها بما يتناسب مع تعاليمنا الإسلامية، وعاداتنا الاجتماعية.

كما لا بدّ من التفريق بين ما خرج عن كونه شعاراً لهم وبين ما زال مرتبطاً بهم يرمز إلى طقوس عباداتهم أو يشير إلى شعيرة من شعائرهم، وذلك لاختلاف الحكم في تلك الحالات.

فما كان شعاراً لهم في زمن معين ثم انتشر بين المسلمين واعتادوا استخدامه في حياتهم، يجوز عند ذلك استعماله والاستفادة منه.

يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري، عند حديثه عن نوع من اللباس المنتشر آنذاك عند غير المسلمين: «وإن قلنا النهي عنها من أجل التشبه بالأعاجم، فهو لمصلحة دينية، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهم كفار، ثم لم يصر الآن يختص بشعارهم، زال ذلك المعنى فتزول الكراهة» (٢).

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦١١)، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَدْنِيُّ الْمُخْزُومِيُّ يُضَعِّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ص ٣٠٧، ج ١٠، كتاب اللباس، باب الميثة الحمراء، دار المعرفة، بيروت.

٧- أن يكون البديل على درجة من القوة بحيث يكون قادراً على صرف الناس عن المحرم، وهذا الأمر يتطلب إيجاد كادرٍ متخصص، من أبناء الأمة الإسلامية، في مختلف المجالات التي نحتاج إليها، ليعملوا على إيجاد البدائل الصالحة التي تخدم المجتمعات، وتصرفهم بنجاحها عن الوقوع في المحرمات، وتلبي لهم مختلف الاحتياجات.

كما ينبغي إعداد دراسات مسبقة تُعنى بإخراج البديل على أكمل صورة؛ وأتم وجه، وذلك من خلال توفير الإمكانيات المادية، والأجهزة الفنية اللازمة، إلى جانب القدرات البشرية المهيئة والمتدربة.

أما إيحاء^{١٠}: أثل بصورة ضعيفة، وبتقنيات هزيلة، يعطي نتائج سلبية، تنعكس آثارها على الإسلام والمسلمين، ولا يفي بالغرض المطلوب منه.

والناظر في المشاريع الدعوية، يلاحظ وجود خلل في بعضها، يرجع سببه إما إلى ضعف في القدرات المادية وقصور في الكوادر البشرية من جهة، أو إلى تنصيب الأمر إلى غير أهله لاعتبارات خاصة من جهة أخرى.

لذا ترى الإنجازات الدعوية كثيراً ما يعثر عليها نوع من القصور أو الضعف لهذه الأسباب وغيرها.

فعلى المسؤولين وأصحاب الاختصاص ألا يتخرجوا من تنحية شخص، عن منصبه، وتعيين من هو أهل له مكانه إذا لزم الأمر، لأن مراعاة مصلحة المجتمع العامة أولى من مراعاة شعور العاملين وأصحاب المناصب. بل قد يأتى من بيده الأمر في تساهله بهذا الجانب.

٨- أن يساعد على إيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة، فيراعى في البديل،

تقوية صلة العبد بربه، وإشعار الإنسان بغاية وجوده، إلى جانب مراعاة طبيعته البشرية وتلبية متطلباتها، فلا يصح أن يطغى جانب على الآخر، بل لا بدّ أن يراعى في البديل توازن هذه الجوانب، على حسب نوعية البديل واختصاصه.

وهذا ما اهتم به التشريع الإسلامي، بحيث أعطى النفس البشرية حقها، ونظم لها أمورها وعلاقاتها مع ربها ونفسها وغيرها.

فقال - عليه الصلاة والسلام - : «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).

فلم يهتم بجانب على حساب جانب آخر، فشرع لها من العبادات ما يعين على تحقيق وظيفة الإنسان في الحياة، ويحفظ له دينه وعرضه ونفسه وماله.

وأباح له الكثير من الأمور التي تلبى احتياجاته المتنوعة، وتروح عن نفسه، وتتناسب مع طبيعته البشرية.

ووضع لها قواعد في علاقتها مع غيرها، وبين لها سبل تعزيزها، وكيفية علاج وتلافي ما يطرأ عليها.

فكوّن الشارع الحكيم من هذه الأمور شخصية متوازنة، تستطيع الجمع بين علاقاتها المتنوعة، بما يحفظ لها مكانتها، ويحقق لها غايتها في الوجود.

٩- أن يحافظ فيه على الثوابت الشرعية، ويتماشى مع المتغيرات العصرية، فيكون موافقاً لمبادئ الشريعة العامة، يحافظ البديل على أصالته،

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، رقم (١٩١٠)، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

ويحاكي عصره، وينسجم مع متطلبات الواقع، فلا يصح أن تختلط الثوابت بالمتغيرات، وتعامل المتغيرات معاملة الثوابت.

ويتطلب هذا وضوح هذه الخصيصة في الدعوة الإسلامية عند الدعاة، ليتمكنوا من التفريق بين الثوابت في الدعوة الإسلامية، وبين المتغيرات التي أتاح الشارع التجديد والتطوير فيها.

وليعملوا على إيجاد البدائل الناجحة، التي تجمع بين محافظتها على الثوابت، وتماشيتها مع مستجدات العصر الحاضر.

وليشعروا بأهمية هذه الخصيصة الكونية، والنعمة الربانية التي منحت الدعاة والمجددين مساحة واسعة للعمل من خلالها على تطوير دعوتهم، واستحداث مناهج بشرية، ووسائل وأساليب جديدة في الدعوة إلى الله.

وأي خلل في هذا الضابط قد يخرج البديل عن غايته الأساسية، ويؤدي إلى نتائج عكسية، فينشر بين الناس التهاون بالمحرمات، لعدم التزامه بالثوابت الشرعية، كما قد يشعر الناس بنوع من السأم والملل لإهمال جانب المتغيرات في البديل المشروع، وعدم مواكبته لتطورات الحياة.

فالأمر غاية في الخطورة، يحتاج إلى خبراء ذوي فكر متوازن، ونظرٍ واسع، ومنهجية معتدلة.

١٠- أن يراعى فيه مبدأ ترتيب الأولويات، فيقدم ما يتعلق بالأمة على ما يخص الفرد، ويهتم بما تكون آثاره متعددة على ما تكون آثاره قاصرة، ويقدم العمل على إيجاد البديل للأمر المتفق على تحريمها عن الأمور المختلف فيها، وأن يندرج تحت دائرة الإمكان، فيبحث عن ما يمكن تطبيقه ويُعدُّ لما لا يمكن تطبيقه، وقديماً قال الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فعدّه

وجاوزه إلى ما تستطيع (١)

والقاعدة الفقهية تقول: (الميسور لا يسقط بالمعسور) (٢)، فييجاد مرجعية شرعية واحدة مثلاً، على مستوى الأمة الإسلامية أمرٌ متعذر أو متعسر نظراً إلى الواقع الذي نعيشه والظروف المحيطة بالأمة الإسلامية.

وليس معنى هذا أن نجلس مكتوفي الأيدي، بل لا بد من عمل الممكن، كالبدء بإيجاد مرجعية شرعية واحدة على مستوى دولة من الدول أو قطر من الأقطار، «فإذا عجز الدعاة عن تحقيق أمر الله - عز وجل - في جميع جوانب الحياة، لضعفهم أو لظروف خاصة بهم، وأمكنتهم تطبيق أحكام الله في بعض الجوانب دون بعض، فلا يجوز لهم أن يتوقفوا عن تطبيق ما أمكنتهم، نظراً لما عجزوا عنه من إقامة الدين كاملاً، فما لا يدرك كله، لا يترك جله» (٣).

ولا تزال هذه القاعدة الشرعية الدعوية بحاجة إلى اهتمام من الدعاة لدراستها وتوضيحها، والعمل على تطبيقها في حياتهم العملية، إذ يلاحظ من بعض العاملين في سلك الدعوة، عدم قدرتهم على تطبيق هذه القاعدة وتفعيلها فيما يعرض لهم من أمور خلال نشاطهم الدعوي بشتى مجالاته، مع فهمهم النظري لمضمون القاعدة ومرادها.

وبهذا تبرز أهمية طرح مثل هذه الموضوعات الدعوية الهامة، من خلال

١ - قاله: عمر بن معد يكرب.

٢ - انظر الأشباه والنظائر، للسيوطي، ص ١٥٩.

٣ - القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي، د: محمد أبو الفتح البيانوني،

ص ١٤١.

جلسات حوارٍ مع الدعاة الناشئين، وضرب أمثلة واقعية تبين مدى تطبيقها في الأمور الدعوية العامة والخاصة، ليستفيدوا من سلفهم، ويقتدوا بطريقتهم، فتتسع مداركهم، ويتمكنوا من تحديد أولوياتهم في حياتهم الدعوية.

١١- أن يشمل أسلوب إيجاد البدائل الأمور الحاجية والتحسينية، كما يشمل الأمور الضرورية، وذلك بحسب درجة الحاجة إليها، فما كان من المحرمات، وجب إيجاد البديل المناسب له، وما كان من المكروهات استحب العمل على إيجاد بديل عنه، وهكذا. . .

ومن المقرر شرعاً أن الوسائل لها حكم المقاصد،^(١) فالوسيلة لإنجاز أمر واجب، تأخذ حكم هذا الأمر، وعندها يجب العمل على إيجاد هذه الوسيلة واستخدامها، لتحقيق ذلك المقصد الواجب.

ومن هنا ينبغي على الدعاة أن ينظروا في أحوال مجتمعاتهم، ليتعرفوا على المخالفات التي يقعون فيها، وأهميتها في حياتهم وارتباطها بضرورياتهم، وحاجياتهم، وتحسينياتهم، والاهتمام بإيجاد البدائل عن الأمور المحرمة المتعلقة بها.

فلا يقتصر الاهتمام بأسلوب إيجاد البدائل على الضروريات فقط، أو على الحاجيات، دون النظر إلى الأمور التحسينية، التي توقع المسلم في الحرج.

وترتيب ما يحتاج إليه الناس من بدائل، لتلبية مصالح الشريعة ومصالحهم، يعود إلى تقدير الدعاة والعلماء، ونظرتهم الواعية إلى واقع أمتهم.

١ - انظر القواعد الفقهية، لعلي أحمد الندوي، ص ١٥٩.

فقد يحسن في فترة من الفترات تجاهل إيجاد البديل في أمر من الأمور، لموازنة تتعلق بوضع الدولة التي يعيشون فيها مثلاً، أو ترتبط بحال المجتمع، فيهتمون بأمر أقل منه أهمية، وذلك بالتشاور بين الخبراء والمسؤولين، للوصول إلى أحسن الآراء وأسلمها.

١٢- أن يسبق العمل على إيجاد البديل دراسة متأنية فاحصة واعية، تعمل على تعزيز الإيجابيات ومعالجة السلبيات، وتحدد احتياجات المجتمع في شتى المجالات.

فقد يهم المسلمين في الغرب مثلاً قضايا لا يلتفت إليها غيرهم من المسلمين، كإيجاد أشكال بديلة للزواج الشرعي، التي اقترحها بعض العلماء، لحاجة المسلم إليها في بلاد الغرب، فانتشر ما يعرف بـ(زوج فريند)، والذي أفتى به الشيخ عبد المجيد الزنداني نظراً لانتشار الرذيلة في تلك البلاد، والحاجة إلى تحصين الشباب، وقد بنى فكرته على أسس شرعية، توصل إلى إباحة هذه الصورة من عقد الزواج.

يقول - حفظه الله - : «لقد تقدمت بهذا الحل إلى المجمع الفقهي الأوربي لدراسته، وأنا مع أي حل شرعي يحقق الزواج ويعف عن الرذيلة وينقذ المسلمين في الغرب من هذه البلوى التي أوقعت شبابهم في الحرام، وأضاعت نسلهم، ومزقت أسرهم، وجلبت عليهم الأمراض الخطيرة. فمن كان لديه حل شرعي لهذه المشكلة فليتقدم به، وسأكون من أول المؤيدين له إذا استند إلى أدلة شرعية تحقق المصلحة وتيسر على المسلمين حل هذه القضية»^(١).

(١) نشر هذا المقال في موقع الشبكة الإسلامية islam web ، بعنوان (الشيخ الزنداني يوضح مقصده من زوج فريند)، والذي كتبه في صنعاء، بتاريخ ٧/٨/٢٠٠٣ م.

إلى غير ذلك من الحلول والبدائل المطروحة على الساحة، والتي تهتم بمختلف نواحي الحياة.

وبهذا تبرز أهمية المرجعية الفكرية التي تحدد احتياجات مجتمعاتها، وتنظر في سبل علاجها، وتقترح الحلول والبدائل الملائمة لها.

١٣- عدم إغفال جانب التربية الإيمانية، والتنشئة على الأخذ بالعزائم واجتناب المكروهات والمحرمات، مع الاهتمام بأسلوب إيجاد البديل.

فلا يصح طغيان جانب على حساب الآخر، فهما بمثابة الجناحين اللذين يضمنان التوازن وعدم الاضطراب في عملية الإصلاح.

وأى خلل في هذا الأمر يؤدي إلى عدم التوازن في شخصية المسلم، بل لا بد أن يصاحب الاهتمام بأسلوب إيجاد البدائل المشروعة، تنمية الوازع الديني في قلوب الناس، وتعزيز المراقبة لله - عز وجل - في السر والعلن، وخاصة في زماننا هذا، وانتشار الوسائل الحديثة، وتيسر أمر الرذيلة.

ومن الأولى أن يسبق جانب الاهتمام بالتربية الإيمانية والتنشئة الصالحة، جانب الاهتمام بتوفير البدائل وتعميمها، حتى يتربى المسلم على ترك المحرم، والتزام الواجب، وينمو في نفسه الخوف من مخالفة أوامر الله سبحانه، والرغبة في الاستجابة له.

فإن لم يستطع الدعاة والمتخصصون إيجاد بديل لأمر معين، أمكن المسلم العزوف عن الوقوع في الحرام، والصبر على ترك ما يكره الله - عز وجل - .

أما إذا تعود الإنسان تلبية طلباته الصغيرة والكبيرة، وتوفير رغباته واحتياجاته الضرورية وغيرها، صعب عند ذلك منعه من ارتكاب المحرمات.

ولذلك يرى بعض الدعاة المهتمين بأمر التربية،^(١) أنه من المستحسن عدم الاستجابة لكل رغبات الأطفال ومتطلباتهم، ومنعهم من بعضها - مع إمكانية توفيرها - لتعود نفسه على الاستجابة والانضباط وترك الحرام في المستقبل.

١٤- رصد ومراقبة نجاح البديل ومدى فاعليته وآثاره، فقد يتبين للمشرفين على المشروع عدم نجاحه في تحقيق أهدافه، بحيث يكون البديل صالحاً لموازنة ما في وقت معين، وبتغير الظروف والأحوال تتغير هذه الصلاحية عملياً، فيبحث عن غيره ليسد مسدّه، أو قد لا يحقق الغرض المرجو منه لقصور في دراسة جدواه، أو خلل في محتواه، أو ضعف في مستواه، وهكذا.

يقول الشاطبي - رحمه الله - : «النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ مقصودٌ شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام، إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل . . .»^(٢).

ويكون متابعة نجاح البديل، والتأكد من تحقيق آثاره، عن طريق مؤسسات متنوعة، يختص بعضها بالجانب الفني للبديل، والبعض الآخر يتابع الجانب التنظيمي والإداري، إلى غير ذلك من جوانب.

ولا يصح أن يكون إصدار الحكم على البديل من فردٍ، بل لا بد أن يحكم على صلاحه وفساده جماعة مختصة، تبين أسباب نجاحه أو إخفاقه، وتطرح الحلول لمعالجة الخلل، أو توصي بإلغاء البديل وإيجاد غيره.

(١) انظر منهاج التربية الصالحة، للجد الشيخ: أحمد عز الدين البيانوني - رحمه الله -، ص ٨٧،

دار السلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.

(٢) الموافقات، للشاطبي، ج ٤، ص ١٤٠.

أما إذا فتح المجال للأفراد بالحكم على البديل ، وأعطوا حربة التصرف بإلغاء البديل ، أو منع الناس منه وتحذيرهم من استعماله ، بناءً على نظرتهم الضيقة ، عمّت الفوضى ، وضعفت الثقة ، وهانت مكانة البديل في عيون الناس .

لذا كان على الدعاة تحذير الناس من هذا الأمر ، وبيان المفسد المترتبة عليه ، كمن يدعو إلى مقاطعة بنك من البنوك الإسلامية البديلة ، ويسمح لنفسه ذمّ هذه المؤسسة أو تلك لوجود أخطاءٍ فيها ، بدل أن يهتم بدعم هذا البديل الإسلامي ، ويعمل على معالجة الأخطاء مع المسؤولين .

وتبرز هنا أيضاً أهمية إعداد الكوادر المتخصصة ، وتوفير الأجهزة اللازمة ، لتتكامل عملية المراقبة لفاعلية البدائل ، وتعطي ثماراً حقيقية ، ونتائج واقعية .

كما يتضح أهمية تفعيل فقه المراجعات^(١) في أسلوب إيجاد البدائل ، والعمل على نقدها ، ومحاولة تفادي سلبياتها ، وتعزيز إيجابياتها .

١٥- التفريق في أسلوب إيجاد البديل بين المنكرات الكبرى والقضايا العامة ، وبين المنكرات الصغرى والقضايا الخاصة ، ففي القضايا الخاصة يسع المسلم أن يجتهد لإيجاد بديل يناسب طبيعته ، ويلهيه عن ارتكاب منهي عنه ، أو مكروه قد اعتاد عليه ، فيحرص على البعد عن المكروهات بممارسة

(١) وقد عرفه محمد مصطفى القرئى ، بأنه «نظر المرء في كسبه ، بقصد التراجع عن شره ، وتكميل خيره ، وأما باعتباره لقباً على علم بعينه ، فهو «العلم بطرق وقواعد وضوابط وشروط مراجعة النفوس بقصد تقويمها على سبيل الإجمال» ، انظر مجلة المنار الجديد ، ص ١٩ ، العدد ١٣ ، ٢٠٠١ م .

المباحات التي تميل نفسه إليها فيتوسع بها، ويتساهل بالمكروهات ليدع بذلك محرماً من المحرمات، - إن لم يستطع تركه إلا بذلك - .

فما يصلح للخاصة وأهل التقوى والورع والزهد من البدائل، لا يناسب العوام الذين تعودوا على التساهل في أداء الواجبات، وارتكاب المنكرات، والوقوع في الشبهات .

بل قد يصل الحال بالمؤمن التقي إلى عدم احتياجه إلى البديل أصلاً، إذ يتعامل مع المكروهات كما يتعامل مع المحرمات، ويهتم بالمستحبات كاهتمامه بالواجبات .

أما في القضايا العامة والمخالفات الكبرى، فيترك تقدير الأمر فيها إلى الجماعة المتخصصة، لتنظر في طريقة علاجها، والحد من آثارها، بالوسائل والأساليب التي تختارها .

ومن الخطورة بمكان أن تعالج القضايا العامة معالجة الأمور الخاصة، لما يترتب على ذلك من المفاصد والتخبط مما لا يخفى على عاقل .

ولعل من أبرز أسباب الواقع الذي آلت إليه أمتنا الإسلامية، تصدي بعض أبنائها لمعالجة قضاياها المصيرية باجتهد فردي، ونظر قاصر، شعوراً منهم بضرورة معالجة تلك الأمور من جهة، ولعدم مبادرة المرجعيات المعتمدة الموثوقة من جهة أخرى .

وهذا لا يبرر فعلهم، ولا يؤيد نهجهم، إذ عليهم التواصل مع تلك المرجعيات، وانتظار توجيههم، والتزام أمرهم .

إلى غير ذلك من قواعد وضوابط يتفق عليها الدعاة والمصلحون، وتمليها الأحكام الشرعية، والواقع العملي .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لستته إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحمد الله - عز وجل - أن أعانني على إنجاز هذا البحث ، ووفقني لدراسته وبحث موضوعه ، ويسر لي اللقاء بنخبة من الدعاة والمصلحين ، والاستفادة من خبراتهم ووقائعهم الدعوية في مجالات متنوعة ، لتدعيم هذا البحث الذي يتحدث عن البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية .

وقد احتوى البحث على تمهيد وأربعة فصول .

اشتمل التمهيد على مبحثين : الأول : يتحدث عن مفهوم الإصلاح الاجتماعي ، اجتهد الباحث في تحديد عناصره وعوامله ومعالمه ومعوقاته ، من خلال قراءات حول الموضوع ، وحرص على سماع آراء واجتهادات الدعاة فيه .

والمبحث الثاني : بين الباحث فيه بعض المصطلحات المتعلقة بموضوع البحث ، ومن أهمها : (البدائل ، المشروعة ، الإصلاح ، التدرج ، التغيير) ، واقترح تعريفاً لمعنى البدائل المشروعة في الدعوة الإسلامية .

وعمل الباحث على تأصيل الموضوع من الناحية الشرعية ، في الفصل الأول ، من خلال الحديث عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في طرح البديل ، في مبحثين منفصلين ، معتمداً على الآيات والأحاديث المرتبطة

بموضوع البحث ، مستعيناً ببعض الكتب التي تناولت الأدلة الشرعية في هذا المجال .

وكذلك الحال في الفصل الثاني ، الذي تحدث فيه الباحث عن منهج الدعاة والمصلحين في طرح أسلوب إيجاد البديل ، مقسماً الفصل إلى مبحثين ، الأول : تطرق إلى استخدام أسلوب إيجاد البديل في سيرة الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم- ، باعتبار سيرتهم مصدراً من المصادر المعتمدة في الدعوة إلى الله .

وتناول المبحث الثاني : أسلوب إيجاد البدائل في سير الدعاة والمصلحين ، والوقوف على تجاربهم ووقائعهم الدعوية ، التي لا غنى للدعاة عنها ، باعتبارها مرجعاً هاماً لسير عملية الدعوة الإسلامية .

ثم انتقل الباحث في الفصل الثالث إلى الحديث عن واقع طرح البديل المشروع وبيان أهميته ، من خلال ذكر سلبيات إغفال البديل وضعفه ، في المبحث الأول .

ثم الحديث عن إيجابيات الاهتمام به واستخدامه في المبحث الثاني .

وخصص الفصل الرابع لإلقاء الضوء على معالم وضوابط أسلوب إيجاد البديل المشروع ، التي تضمن نجاحه وتفوقه على المحرمات التي يتساهل فيها بعض الأفراد والمجتمعات ، وقد تركز الجهد في هذا الفصل على اجتهاد الباحث وتأملاته ، والاستفادة من آراء الدعاة وتوجيهاتهم .

وتبيّن من خلال ذلك ضرورة الاهتمام بهذا الأسلوب الدعوي من قبل الدعاة والمصلحين ، وتطبيقه في حياتهم الدعوية ، ومحاولة إيجاد البدائل

المتنوعة، والصالحة لتقديمها كبدائل مقنعة، تغني الناس عن المحرمات وتصرفهم عنها، وتعوضهم عن ما اعتادوه.

ومن الأهمية بمكان الوصول إلى مقترحات وتوصيات تتعلق بموضوع البحث، وتعالج بعض جوانبه العملية، ومن أهمها:

١- طرح هذا الأسلوب ومناقشته مع الدعاة على مختلف مشاربيهم واتجاهاتهم، لإشعارهم بمدى أهميته في عملية الإصلاح الاجتماعي.

٢- إعداد دراسات نظرية، من قبل الدعاة والمتخصصين، تعمل على تناول واقتراح مشروعات لإيجاد البدائل في مختلف المجالات، وتُبصّر نتائجها وآثارها في مجتمعاتهم.

٣- تربية الدعاة الناشئين، وتدريبهم على ممارسة هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله.

٤- على الدعاة والمصلحين العمل على إقناع الحكومات الإسلامية، والمؤسسات الإصلاحية، بأهمية أسلوب إيجاد البدائل الشرعية، وتقديم مقترحات تساعد على إنجاز مخططاتهم، وتحقيق أهدافهم الإصلاحية، بشكل يتناسب مع واقعهم، والظروف المحيطة بهم.

٥- على المؤسسات الدعوية تبني مثل هذه المشروعات، ودعمها مادياً، والمساهمة في إنجازها في الواقع.

٦- على الحكومات والمؤسسات الدعوية تبادل الخبرات في هذا المجال بينها وبين الدول الأخرى، للوصول إلى أفضل النتائج، والعمل على تجاوز العقبات، وتكميل النواقص.

٧- الاستفادة من تجارب غير المسلمين في هذا المجال ، ضمن ما تسمح به تعاليم الشريعة الإسلامية ، ومحاولة تنقية ما يعلق بهذا الأسلوب من شوائب .

٨- على الدعاة ألا يغفلوا جانب التربية الإيمانية ، والاهتمام بتقوية الوازع الديني لدى فئات المجتمع المتنوعة ، في الوقت الذي يُعنون فيه بأسلوب إيجاد البديل الصالح .

«وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	صدر الآية
٨٨	أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ.....
٧٥	أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ.....
٣٧	أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ.....
١٣٥	اتل ما أوحى إليك من الكتاب.....
٧١	أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ.....
٦٩	أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ.....
٧٦	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا.....
٢٦	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.....
٢٦	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ.....
٧٣	إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ.....
١٦٢	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.....
٥٧	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا.....
٥٩	إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ.....
١٣٥	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.....

- ١١٦ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
- ٧٦ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا
- ٣٩ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
- ٤٥ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
- ٧٠ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
- ٦٨ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ
- ١٠ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ
- ٦٧ الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ
- ٧٢ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُنْزِيرُ
- ٦ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
- ١٤١، ٧٢، ٥ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
- ١١، ٥ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
- ٥٨ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا
- ١٧ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ
- ١٨١ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ
- ١٩١ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ٥٩
- فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ١٤٢
- فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ٦٠
- قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ ٢٤
- قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٣٥
- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ .. ٢٦
- قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ٧٤
- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٣٧
- كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ١٣١
- لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ٧٤
- لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ٢٠٤
- لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ١٤١
- لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ١٢٢
- له معقبات من بين يديه ٦٠، ٢٦
- لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ٢٨
- مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ٧٤

- مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ ٩٣
- مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ٥٧
- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ١٩١
- وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ ٧٥
- وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٣٧
- وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا ٦٧
- وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ٦٧
- وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ١٤٢
- وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ١١٦
- وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ٧٣
- وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ٧٤
- وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ٧٣
- وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ٦
- وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ٢٩
- وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ٦٨
- وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ٧٦

- وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ ٧١
- وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ٢٥
- وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ٢٥
- وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ٢٧
- وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ ٣٠
- وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ١٩١
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٢٠٦
- وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ١٠، ٢٥
- وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ٧٣
- وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ ٦٥
- وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ٦٩
- وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ٦٥
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ٧٥
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ١١٧
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ٦٧
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ١٤٢

- ٦٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ
- ٣٣ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
- ٧٥ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
- ١ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ
- ١٣١ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
- ٤٦ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ
- ٥٧ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ

* * * *

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	صدر الحديث
٨٩	أَتَدْرُونَ مَا الْمَفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمَفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ
٢١٩ ، ٤٦	اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا
١٠٦	احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ
٩٤	أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانٍ
٩٤	أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ
٣٦	أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنَ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ
١٢٢	أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ
٦٦	أَرْسَلَهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ
١٨٢	أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةٌ لَبِيدٍ
١٠١	أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ، قَالَ: بَلَى
٢٨	إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا
٩١	إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَّاةَ شِرْكَ
٩٧	إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ
١٠٤ ، ٩٣	إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ

- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ ٨٥
- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ ١١٤
- أَنَّ رُكَّانَةَ صَارَعَ النَّبِيَّ ﷺ فَصَرَعهُ النَّبِيُّ ﷺ ٩٨
- إِنَّ زَاهِرًا بَادَيْتَنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ ٩٧
- إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ٧١
- إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ ١١٣
- إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ ٤١
- إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ١٠٧
- أَنهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ ٧٥
- أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ ١٢٠
- أول من قدم علينا مصعب بن عمير ٨٦
- أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا ١٠٨
- بَيْنَا الْخَبْشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ ٩٨
- التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ ١٠٢
- تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ ٢٠٦
- تَنَاحُوا تَكَاثَرُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٣٦

- جاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا ١٠٨
- جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ١٩٢
- دخل علي النبي ﷺ غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي ٦٥
- الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنةُ الكافرِ ٤٨
- رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ - رضيَ اللهُ عنه - قال: يا عبدَ اللهِ بنَ عمرَ اذهبِ إلى أمِّ المؤمنينِ عائشةَ ١١٩
- رأيتُ في المنامِ أني أهاجرُ من مَكَّةَ ٨٥
- الشفاءُ في ثلاثة: شربةِ عسلٍ، وشرطةِ محجمٍ، وكيةِ نارٍ ١٠٦
- صلى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصبحِ بالحدبيةِ ٨٨
- قدمَ أناسٌ من عُكْلٍ أو عُرَيْنةَ فاجتروا المدينةَ ١٠٧
- قوموا إلى جنةٍ عرضها السمواتُ والأرضُ ٤٩
- كانَ الرجلُ فيمنَ قبلكم يُحفرُ له في الأرضِ فيجعلُ فيه ٨١
- كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أرادَ أن يباشرَ امرأةً من نِسائه ٦٩
- كانَ لكم يومانِ تلعبونَ فيهما ٩٥
- كانتَ معَ النبي ﷺ في سفرٍ قالت: فسأقتُهُ ٩٨
- الكلمةُ الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ ٢١٧

- كُنَّا نَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا وَأَنْعَمَ صَبَاحًا ٩١
- الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ٨٨
- لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ ٩٩
- لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ ١٠٥
- لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ ٨٦
- لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّافُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ ٩٦
- لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ ٧٩
- لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، جَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ ١١٧
- لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ - النَّجَاشِيِّ - ٨٣
- لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ ٨٩
- لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا ٧٠
- لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ ١٨١
- لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ ٩٥
- مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ ١٠٠
- مَا بَالَ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ٥١
- مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ٨٠، ١٠٠

- مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا..... ١٠٢
- مَا هَذَا التَّمْرُ؟ مِنْ تَمْرِنَا!..... ١٠٦
- مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ فَلْيُسَلِّفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ..... ١٠٥
- مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ..... ٤٥
- مُهَيْمٍ يَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ..... ٨٧
- مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ..... ١٠٠
- نَافِقٌ حَنْظَلَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ..... ٩٦
- نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ..... ٨٨
- نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا..... ١٠٧
- نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُبَيْعَ مَا لَيْسَ عِنْدِي... .. ١٠٥
- نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَيْعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ..... ١٠٤
- نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ..... ٩٤
- نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَزَابِنَةِ..... ١٠٤
- نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمُنَابَذَةِ..... ١٠٤
- نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ بَيْعِ الثَّمْرِ بِالثَّمْرِ وَرَخْصِ فِي الْعَرِيَّةِ..... ١٠٥
- نَهَى عَنِ بَيْعِ حَبْلِ الْحَبْلَةِ، وَكَانَ بَيْعًا يَتْبَاعُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ..... ١٠٤

- هذه بتلك ٩٨
- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَضِبَ ١٠١
- والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ٩٦
- وَأَهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أَحَدٍ ٤٩
- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ ١٢٤
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ ٩٣
- يَا بَنِي فِرْعَانَ يَا بَنِي عَدِيِّ لِبَطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا ٣٣
- يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي ٤٧
- يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ٩٩
- يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ١٣٦، ١٩٧

* * * *

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحات
أبن أَّبِي لَيْلَى	١٠٨
أبن السَّبَّاقِ	١٢٢
أبن المنذر	١٠٥
أبن تيمية	٢١٥
أبن حجر	٢١٧
أبن خزيمة	١١٦
أبن راهوييه	١١٦
أبن رُكَّانَةَ	٩٨
أبن زُرَيْرٍ	٩٤
أبن شهاب	٧١
أبن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما -	١٠٦، ١٠٥، ٩٤، ٨٠
أبن القيم	٢٠٣، ٧٢
أبو العباس	٥٨
أبو طيبة	١٠٦
أبو أيوب الأنصاري	٨٧

- أبو بكر الصديق ٨٦، ٩٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢،
١١١
- أبو حذيفة بن عتبة ٨٢، ٨٧
- أبو سبرة ٨٢
- أبو سلمة بن عبدالأسد ٨٢
- أبو طالب ٣٤
- أبو عبيدة بن الجراح ٣٩، ٨٦، ١١٥
- أبو موسى الأشعري ٨٥
- أبي بن كعب ٣٩، ٨٧
- أبو سعيد ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦
- أبو سعيد الخدري ٩٢
- أبو عامر ٩٥
- أبو عبدالله زيد ٩١
- أبو مالك الأشعري ٩٥
- أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٨٠، ٨٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤،
١٠٨، ١٨٢، ٢١٧
- أحمد الحجي الكردي ١٤٩
- أحمد النجار ١٤٣

- الأحنف بن قيس، ١٢٧.....
- أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ..... ١٠٧.....
- إِسْمَاعِيل..... ١١٤.....
- أم كلثوم بنت عقبة..... ٧٠.....
- أنس بن النضر- رضي الله عنه..... ٤٩.....
- أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ- رضي الله عنه..... ٨٧، ٨٩، ٩٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧،
١٢٤، ١٠٧
- البخاري..... ١٢٢.....
- الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..... ٨٦.....
- بشر بن عبد الملك..... ١٨٢.....
- البخري..... ١١٦.....
- بِلَالٌ..... ١١٧، ٩٢.....
- ثوبان..... ١٩٧، ١٣٦.....
- جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ..... ١٠٣، ٧٩، ٥١.....
- جَادِ الْحَقِّ شَيْخِ الْأَزْهَرِ..... ١٦٣.....
- جاسم المطوع..... ١٥٢.....
- جودت سعيد..... ٢٧.....

١١٥	حَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ
١٨٣	الحجاج بن يوسف
١٢٤، ٨٧	حذيفة بن اليمان
١٨٢	حرب بن أمية
١٢٤، ١٦٢، ١٩٧	حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ
١٠٥	حكيم بن حزام
١٤٥	حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
٩٦	حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ
١٢٢	خزيمة الأنصاري
٨٦	خارجة بن زهير
١٥٧	خالد المذكور
٣٩	خالد بن الوليد
٨١	نمباب بن الأرت
١٢٦	رافع بن أبي رافع
٩٥	الرَّبِيعِ بِنْتُ مَعُوذٍ - رضي الله عنها -
٤٨	ربيعي بن عامر
٩٨	ركانة

زاهر	٩٧
الزبير بن العوام	١٢٠، ٨٦، ٨٢ ..
زيد بن الدثنة	٥٠
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ	١٢٤، ١٢٢، ٣٩
زَيْدُ بْنُ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ	٨٨
زَيْنَبُ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ ..	٩١
سديد بن غفلة	١٢٥
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ	١٢٠
سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ ..	٨٧، ٨٦
سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ	١١٥
سعد بن معاذ	٨٦
سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ..	١٢٤
سعيد بن جبير	١٨٣
سَهْلُ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ	١٠٥
سهيل بن بيضاء	٨٢
سيد قطب	٨٢
الشاطبي	٢٢٥

- ٨٨ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ
- ١٧ صالح الأحمري
- ١٢٠، ١١٩ طَلْحَةَ
- ٨٢ عامر بن ربيعة
- ١١٩، ١١٧، ١١٤، ٩٨، ٩٧، ٤١ عائشة - رضي الله عنها
- ٨٧ عبيد بن بشر
- ١٤٠ عباس حسني معتمد
- ١٤٢، ١٤٠ عبد الباري محمد علي مشعل
- ١٢١، ١٢٠، ٨٧، ٨٦، ٨٢ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ
- ٩١، ٨٨ عَبْدُ اللَّهِ
- ٨٤ عبدالله بن أبي ربيعة
- ٩٧ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
- ١١٩، ١٠٤، ٩٤ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
- ٩٩ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
- ٨١ عبد الله بن مسعود
- ٢٢٣ عبد المجيد الزنداني
- ١٢٤ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ

١٣٧، ١٣٣	عبدالكريم بكار
١٢٤	عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ
٦٩	عبدالله بن شداد
٤٦	عبدالله بن بريدة
٨٦	عتبان بن مالك
١١٩، ٩٩	عُثْمَانُ
١٢٧	عثمان بن أبي العاص
١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ٨٧، ٨٢	عثمان بن عفان
١٢٧، ١٢٥، ١٢٤	
٨٢	عثمان بن مظعون
١١٦	العدني
٩٩، ٨٨	عَلْقَمَةَ
١٠٧	عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ
١٦٥	علي جريشة
١٨٢، ١٢٥، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ٩٤	عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٨٧	عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ
١٢١، ١١٩، ١١٨، ١١٥، ١١٤، ٩٢، ٨٦، ٦٦	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
١٢٨، ١٢٧، ١٢٣، ١٢٢	

١٢٤	عمر بن سعيد
٤١	عمر بن عبا العزيز الخليفة الراشد
٩١	عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ
١٢٧ ، ٨٤	عمرو بن العاص
١٢ ، ١١٩	عَمْرُو بْنُ مَيْمُونِ الْأَوْدِيِّ
٤٩	عمير بن الحُمَامِ الْأَنْصَارِيِّ
٤٦	الغامدية
١٠٦	الغزالي
١٠٨	فَاطِمَةٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ
٧٠ ، ٦٥	القرطبي
١٨٢	ليلى
٣٧	لوط - عليه السلام
٤٦	معاذ
١٢٧	مجاهد بن مسعود
١٩٤ ، ١٢٦ ، ٨ ، ٦	محمد أبو الفتح البيانوني
١٠٣ ، ١٥١	مسند الثريزي
١٤٩	محمد عبد الغفار الشريف

١٦٣	مصطفى الخن
١٤٩ ..	مصطفى، الزرقا
٨٧، ٨٥، ٨٢	مصعب بن عمير - رضي الله عنه
١٢٧	معاوية
١٠٠	المُقْدَام
٦٩	ميمونة
٨٤	النجاشي
٣٥ ..	نوح - عليه السلام -
٦٦	هشام بن حكيم بن حزام
١٤٨	هيفاء أحمد الخجي الكردي
١٠٧	وَأَثَلِ الحُضْرَمِيِّ
١٨٣، ١٨٠، ٩٠	يوسف القرضاوي
١٨٣	يوسف الصديق

٤- فهرس الأماكن

الأماكن	الصفحات
أذْرِيحَانْ	١٢٤
أرجان	١٢٧
إِرْمِينِيَّة	١٢٤
اصطخر	١٢٧
جبل الصفا	٣٣
الحبشة	٨١
خراسان	١٢٧
سابور	١٢٧
سرخس	١٢٧
سَقِيْفَةُ بَنِي سَاعِدَةَ	١١٥
السنح	١١٤
الشَّام	١٢٤
شيراز	١٢٧
العالية	١١٤
العِرَاق	١٢٤
قبرص	١٢٧
المُدِينَةُ المَنُورَةُ	٨٦، ١٢٦
نيابزر	١٢٧

٥- فهرس المراجع

- * القرآن الكريم
- * كتب الأحاديث النبوية ﷺ مراجع كتب الأحاديث النبوية اعتمدت فيها على برنامج شركة حرف)
- * الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، للقرافي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٦٧ م.
- * إحياء علوم الدين، للغزالي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.
- * أسباب الضعف في الأمة الإسلامية، للدكتور: محمد السيد الوكيل
- * الإسلام والفن، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م
- * الأشباه والنظائر، للسيوطي
- * الأصالة والمعاصرة، د. محمد أبو الفتح البيانوني
- * إصلاح الشعوب أولاً، للأستاذ عيد الدويهييس
- * إعلام الموقعين، لابن القيم الجوزية،
- * اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، مطابع السنة المحمدية، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ هـ.
- * الإمامة والسياسة، لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني.

* البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،
م. ١٩٣٣.

* البديل الإسلامي للفوائد المصرفية الربوية، للدكتور عاشور عبد الجراد
عبد الحميد، دار النهضة العربية

* البنك العقاري الكويتي نشرة خاصة بالاجتماع الثلاثون للجمعية
العامة غير العادية، أكتوبر، ٢٠٠٣م

* تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، لأبي
الأعلى المودودي، دار الفكر، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م.

* تحول العبادات إلى عادات للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني

* تطبيق الشريعة بين القبول والرفض، لرشاد سلام، مؤسسة سينا
للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

* التكريم الصادق بالاتباع الكامل للشيخ: أحمد عز الدين البيانوني -
رحمه الله - .

* التمثيل حقيقته وتاريخه وحكمه، بكر أبو زيد، دار الراية، الرياض،
الطبعة الأولى، ١٤١١هـ

* الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، مؤسسة مناهل العرفان،
بيروت.

* الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام شمس الدين بن
قيم الجوزية، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٨٩م.

* الحلال والحرام في الإسلام، للدكتور القرضاوي، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، ١٩٩٤م.

* الحلال والحرام في الإسلام، للقرضاوي
* حياة الصحابة، للكاندهلوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

* الخط العربي، محمد طاهر الكردي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م

* الخلفاء الراشدون - أعمال وأحداث - ، د/ أمين القضاة، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية

* دراسة تاريخية للفقهِ وأصوله، للدكتور مصطفى سعيد الخن، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

* الدولة الأموية، د. يوسف العث، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

* سنن أبي داود.

* سنن البيهقي.

* سنن الترمذي.

* سنن الدار قطني.

* سنن النسائي.

- * السيرة النبوية، لابن هشام، دار الفكر، القاهرة.
- * شروط النهضة، للأستاذ: مالك بن نبي
- * الشريعة الإسلامية بين التدرج في التشريع والتدرج في التطبيق، للشيخ
عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
- * صحيح البخاري
- * صحيح مسلم
- * الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار التحرير للطبع والنشر.
- * العمل قدرة وإرادة، للأستاذ: جودت سعيد دار الثقافة للجميع،
دمشق، ١٩٨٠م
- * فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب
اللباس، باب الميثرة الحمراء، دار المعرفة، بيروت
- * الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، عباس حسني محمد، سلسلة دعوة
الحق، ١٤٠٢هـ
- * الفقه الإسلامي وأدلته، د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة
الثانية، ١٩٨٥م.
- * في ظلال القرآن، لسيد قطب، طبعة دار الشروق، الطبعة الشرعية
السابعة، ١٣٩٨هـ.
- * القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي، د. محمد أبو
الفتح البيانوني

- * القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي، د. محمد أبو الفتح البيانوني
- * القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي، للدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني، العدد ٨٢، من كتاب الأمة، قطر، ١٤٢٢
- * القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ١٩٩١ م
- * الكامل لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧ م.
- * الكتيب التعريفي، من إعداد إدارة العلاقات العامة للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
- * اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، سلسلة تهيئة الأجواء، رقم (١٥).
- * لسان العرب، لابن منظور الإفريقي.
- * لقاء مع الدكتور: عبد الباري محمد علي مشعل - حفظه الله - يوم الثلاثاء الموافق: ١٣ / ١ / ٢٠٠٤ م.
- * لقاء مع فضيلة الدكتور: خالد المذكور بمكتبه، في يوم الأربعاء الموافق ٧ / ٤ / ٢٠٠٤ م.
- * ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للشيخ: أبي الحسن الندوي.
- * مجلة الأحكام العدلية، طبع المطبعة الشرقية، لبنان، ١٩٥٥ م.
- * مجلة المنار الجديد، العدد ١٣، ٢٠٠١ م و العدد ١٨، عام ٢٠٠٢ م.

- * مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مكتبة المعارف، الرباط، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم.
- * محاضرة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، ني المدينة المنورة، بتاريخ (١/ شعبان/ ١٤١٠هـ)
- * المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الله أحمد فروان، دار الذكر المعاصر، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- * مسند الإمام أحمد
- * المعجم الوسيط،
- * مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
- * مفهوم أهل السنة والجماعة بين التوسيع والتضييق، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- * مقالة - قبل نشرها - للأستاذ: صالح الأحمر تتحدث عن نشأة قناة المجد، وأهدافها، ومنهجيتها
- * من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د. عبد الكريم بكار، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- * مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية.
- * منهاج التربية الصالحة، للجد الشيخ: أحمد عز الدين البيانوني - رحمه الله - دار السلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

- * الموافقات للشاطبي ، دار الفكر.
- * موقع الشبكة الإسلامية islam web ، بعنوان (الشيخ الزندانى يوضح مقصده من زوج فريند)
- * نحو إعلام إسلامى ، د. على جريشة ، مكتبة وهبة ، القاهرة
- * نحو فهم أعمق للواقع الإسلامى ، د. عبد الكرىم بكار ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠١م.
- * نيل الأوطار : للشوكانى
- * الوقف البديل الشرعى للتأمين ، للباحثة : هيفاء أحمد الحجى الكردى ، رسالة ماجستير ، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الفقه المقارن وأصول الفقه ، بإشراف : د. محمد عبدالغفار الشريف

* * * *

٦. فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٨	كلمة بين يدي المؤلف
١٠	المقدمة
١٧	التمهيد
٢٣	١- عناصر الإصلاح الاجتماعي
٣١	عوامل الإصلاح الاجتماعي
٣٣	الدعوة إلى الله بالبلاغ المبين
٢٤	تكوين القاعدة المؤمنة
١١	أن يكون إصلاحاً كاملاً وشاملاً لجميع جوانب الحياة
٣٩	المنهجية والتخطيط والمرحلية
٤٣	معالم الإصلاح الاجتماعي
	١- معرفة قيمة العلم ، والتوجه إلى الاستفادة من السنن الكونية
٤٥	وتسخيرها لخدمة الإنسان
٤٦	٢- الشعور بمراقبة الله تعالى والخوف منه
٤٧	٣- العزوف عن زخارف الدنيا ومظاهرها
٤٨	٤- بث روح الشجاعة والإقدام في نفوس أبناء الأمة
٤٩	٥- تقوية المحبة في نفوس أبناء المجتمع لقادتهم
	٦- انتشار التعاون بين المسلمين على الحق ، ووجود الأخوة الصادقة فيما

٥١	بينهم
٥٣	معوقات الإصلاح الاجتماعي
	١- وجود خلل في فهم المنهج الرباني والنبوي في عملية الإصلاح ، ومن صورته
٥٥	أ- الحرص على تطبيق أحكام الإسلام جملة واحدة
٥٥	ب- اهتمام بعض الدعاة بإصلاح المظاهر والأشكال وإزالتها
٥٥	ج- الغفلة عن أهمية فقه الموازنات في مسيرة الإصلاح الاجتماعي
٥٦	٢- وجود نوع من اليأس والقنوط لدى بعض الدعاة
	٣- وجود بعض الدعاة ممن يعامل المتغيرات في الشريعة الإسلامية معاملة الثوابت التي لا يجوز تغييرها
٥٦	٤- الاختلاف بين فصائل العمل الدعوي
٥٧	بيان بعض مصطلحات البحث
٥٧	البدائل
٥٨	المشروعة
٥٩	الإصلاح
٥٩	التدرج
٦٠	التغيير
٦١	الفصل الأول : منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في طرح البديل
٦٣	المبحث الأول : منهج القرآن الكريم في طرح البديل
	صور إيجاد الحكم البديل في القرآن الكريم كثيرة ، من أمثلتها
	وجود الرخص في كتاب الله عز وجل : كقصر الصلاة للمسافر ، إياحة

- الفطر في رمضان للمسافر ، وللكبير الذي لا يستطيع مع الكفارة الأمر
 بالتيمة عند العجز عن استخدام الماء ٦٧
 لم يحرم الله شيئاً فيه ضرر على عباده ، إلا وأوجد لهم بديلاً ، وعوضاً عنه
 فيه منفعة ٦٨
 فحرم سبحانه وتعالى الزنى ، وأباح لهم الزواج وملك اليمين ٦٨
 حرم على الرجال وطء نساءهم في نهار رمضان ، وأباح لهم ذلك ليلاً .. ٦٩
 وحرم عليهم وطء الحائض وسمح لهم في مباشرتها ٦٩
 وحرم عليهم نكاح الأقارب ، وأباح لهم منه بنات العم والعمة ٦٩
 وحرم عليهم الكذب ، وأباح لهم المعارض ٧٠
 وحرم عليهم الخيلاء والكبر وأباحه لهم في الحرب مع الكفار ٧١
 وحرم عليهم صيد البر في حال الإحرام ، وأبدلهم عنه بصيد البحر ٧١
 وحرم سبحانه وتعالى عليهم الربا ، وأباح لهم البيع ٧١
 حرم عليهم الميتة بأنواعها ، ورخص لهم الأكل منها في حال الضرورة :
 وأباح لهم منها ما ذكي ٧٢
 أوجد الله لعباده بدائل أيضاً في علاقتهم العامة مع ربهم ٧٢
 فشرع لهم التوبة وتبديل العمل السيء بالحسن ٧١
 أوجد لهم سبحانه وتعالى كفارات لأعمالهم ٧٣
 عجل لهم عقوبات في الدنيا بدلاً عن العقوبة الأخروية ٧٣
 أوجد الله لعباده مساحة واسعة من المباحات ، لاستخدامها كبدائل تغني
 الناس عن التعامل مع المحرمات ٧٤
 الآيات التي تتضمن نسخ حكم وتبديله بحكم آخر ٧٤

- ٧٧ المبحث الثاني :منهج السنة النبوية في طرح البديل
- ٨٠ شارك ﷺ في رعي الغنم ليؤمن الكسب الحلال
- ٨٠ أوجد لنفسه المرأة الصالحة التي تعفه وتعينه على أداء رسالته
- ٨١ أوجد أموراً بديلة عن القتال بالسلاح - في أول أمره - كالهجرة إلى الحبشة
- ٨٦ هاجر ﷺ إلى المدينة المنورة
- ٨٦ آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار
- في الفترة المدنية بدأ النبي ﷺ يث في عقولهم المفاهيم الصحيحة بدلاً عن تلك المفاهيم والأفكار التي رسخت في عقولهم فحرص على تغيير مفهوم الناس عن الدنيا
- ٨٨ عالج بعض مظاهر الانحراف في العقيدة
- ٨٩ عمل على لفت أنظار الصحابة إلى بعض المصطلحات
- ٨٩ كما اهتم بتشريع الشرائع وتبيين الحلال من الحرام
- ٩١ شرع لهم طريقة بديلة ووسيلة إسلامية لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة
- ٩٢ اهتم بمعالجة ما تعودوا عليه في الجاهلية من عادات سيئة
- ٩٤ أباح لهم كل الكائنات البرية والطيور ، إلا ما استثنى منها
- ٩٤ حرم عليهم الميتة والدم ، وأباح لهم منها أنواعاً أخرى
- ٩٤ كما أولى الإسلام جانب اللباس والزينة عناية كبيرة
- كما اهتم بالنفس البشرية التي تميل إلى الطرب وسماع ما يخفف عنها همومها
- ٩٥ كما حرم عليهم الاحتفال بأعيادهم التي اعتادوها في الجاهلية ، وأبدلهم عنها بيومي العيد
- ٩٥

- ٩٦ وجه الناس إلى الترويح عن نفوسهم وعدم كتبها
- ٩٦ فكان مازحا لأصحابه ، مداعباً لهم
- ٩٩ كما اهتم الرسول ﷺ بغريزة الإنسان التي جبل عليها
- ٩٩ فأمر الشباب بالزواج كبديل عن ممارسة الحرام
- ٩٩ ولم يترك العاجز عن الزواج دون بديل
- ٩٩ أولى جانب الكسب الطيب عناية كبيرة
- ١٠٠ حثهم على تعلم أي حرفة أو صنعة تعفهم وتمنعهم
- ١٠٠ جعل كل حرفة مباحة شريفة ، وكل حرفة محرمة مهينة
- ١٠١ أوجد لهم حرفاً مباحة كالزراعة والصناعة والتجارة
- ١٠٢ سعى إلى إيجاد الأسواق الإسلامية
- ولم يغفل جانب المعاملات المادية من بيع وشراء فأقر البعض وحرّم عليهم
- ١٠٣ الأخر
- ١٠٣ فحرم عليهم بيع الخمر والخنزير والميتة
- ١٠٤ نهاهم عن البيوع التي تضر بالغير
- ١٠٥ رخص لهم في أنواع من البيوع لحاجتهم إليها ، كبيع العرايا
- ١٠٥ نهاهم عن بيع ما لا يملكه الإنسان ورخص لهم ذلك بشروط معينة
- ١٠٥ إرشاد النبي إلى الطرق البديلة عن البيوع المحرمة
- ١٠٦ اهتمام النبي بجانب الطب
- ١٠٧ اهتمام النبي بشؤون أسرته
- ١٠٨ توسيع الشارع الحكيم في دائرة المباحات
- ١٠٩ الفصل الثاني : منهج الدعاة في طرح البديل

- ١١١ -المبحث الأول: في سيرة الخلفاء الراشدين
- ١١٤ اهتمام الخلفاء بإيجاد حاكم
- ١٢١ اهتمام الخلفاء الراشدين بجمع القرآن الكريم
- ١٢٥ اهتمام الصحابة بإيجاد نظم إدارية جديدة
- ١٢٩ المبحث الثاني: في سيرة الدعاة والمصلحين
- ١٣١ توطئة
- ١٣٣ منهج طرح البديل في سيرة الدعاة والمصلحين
- من أبرز ما تُعنى به الأمة الإسلامية: جانب الفكر والمفاهيم في المجتمع الإسلامي
- ١٣٣ قول الدكتور عبدالكريم بكار في ذلك
- ١٣٤ تقسيم الانحرافات في الجانب الفكري إلى ثلاثة أقسام
- ١٣٤ امتد الانحراف إلى مفهوم العبادة
- ١٣٦ الانحراف في بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية
- ١٣٧ ظهور فرق على الساحة الدعوية تدعى النجاة لنفسها دون غيرها
- وجود دراسات حول مشكلة ما لا تقوم على أسس علمية... العفوية في التفكير
- ١٣٧ الخلل في ترتيب الأولويات في العمل الدعوي،... انفصال الفكر عن الفقه
- ١٣٨ ومن مظاهر هذا الفصل بين الفكر والفقه ثلاثة أمور
- ١٣٨ ولعل من أهم البدائل لعلاج هذه الظواهر: تشكيل مرجعية فكرية من ذوي الخبرة
- ١٤٠

- ومن الجوانب الأساسية التي اهتم الدعاة بها : إيجاد بدائل صالحة للجانب
 الاقتصادي، ١٤٠
- ومن الجوانب المهمة التي يعمل الدعاة على إيجاد بدائل فيها ، الجانب
 الاجتماعي، ١٥١
- ومن الجوانب المهمة التي يعمل الدعاة على إيجاد بدائل فيها : جانب
 القوانين الوضعية ، وتبديلها بقوانين شرعية ١٥٦
- ومن الجوانب الهامة التي يعمل الدعاة على إيجاد بدائل فيها : جانب
 الإعلام بأنواعه المختلفة ١٦٥
- أحدث محاولات إيجاد البدائل الإعلامية في العصر الحاضر (تناة المجد) .
 الاهتمام بجانب الفن الإسلامي ١٧٠
- اهتم الدين الإسلامي بفنون القول والأدب لإيجاد البديل عن الشعر المنتشر
 في الجاهلية كما كان للقصة الهادفة نصيباً من الاهتمام في العصور
 الإسلامية المختلفة ١٨٠
- ويبرز الفن النسموع الذي لا يقل أهمية عن غيره ١٨٣
- الفصل الثالث : واقع طرح البديل المشروع في العمل الدعوي (سلبياته
 وإيجابياته) ١٨٥
- المبحث الأول : سلبيات إغفال البديل المشروع وضعفه ١٨٧
- أبرز الآثار السلبية المترتبة على إهمال أسلوب البديل : ١٨٩
- ١- التهاون في ارتكاب المحرمات ، والتساهل في التزام الراجبات ،
 والوقوع في الشبهات ، كما يؤدي التهاون في ارتكاب المحرمات إلى فقدان
 هوية الدين ، فينتشر الفساد ، بثتى صورته وأنواعه ١٨٩

- ومن أضرار ذلك : حرمان العلم ، وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله ، تعسير أموره ، حرمان الطاعة ، الوقوع في الذل والهوان بسبب المعصية ، انتشار الفساد في البر والبحر ، زوال النعم ، وحلول النقم ١٩٠
- ٢- وجود حالة من الملل لدى بعض المسلمين ، وذلك بسبب عدم التجديد في حياتهم وتقديم البدائل الملائمة لواقعهم ١٩١
- ٣- الخمول أو الفتور الدعوي ولعل من أبرز أسباب ذلك : النظرة الضيقة لمشروعية إيجاد البدائل في مختلف المجالات ١٩٢
- ٤- إعجاب بعض المسلمين بحضارة الغرب ، وزهدهم بالحضارة الإسلامية ، لظنهم أن الحضارة الإسلامية لا تلبي احتياجاتهم ، مع أن من أبرز سمات التشريع الإسلامي أن جَمَعَ بين الثبات والمرونة ١٩٣
- ومن القواعد الشرعية التي تبرز هذه الخصيصة : لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأزمان ، الأصل في الأشياء الإباحة ، الضرورات تبيح المحظورات ، يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد ١٩٣
- ٥- الشعور بالدونية وعدم الثقة بالنفس ولمعالجة هذا الشعور ، لا بد من تنمية الاعتزاز بهذا الدين العظيم ١٩٥
- ٦- ضياع وقت ، كثير من الشباب فيما لا ينفع ، ومن هنا كان لا بد من إشراك الشباب : ، والتفكير معهم لإيجاد البديل المناسب الذي يغنيهم عن الحرام ١٩٦
- ٧- ضعف المجتمعات الإسلامية وركونها واعتمادها على غيرها لذا كان الالهتاف بأسلوب إيجاد البديل خطوة أولية وركيزة أساسية لإنقاذ المجتمع المسلم ١٩٧

- المبحث الثاني: إيجابيات الاهتمام بالبديل المشروع ١٩٩
- ومن أبرز الآثار الإيجابية ، التي تبرز مكانة البدائل للناحية الدعوية : ٢٠١
- ١- إبراز الدين الإسلامي بصورة مشرقة ، وإن الدعوة الإسلامية تتسم ٢٠١
- من أتباعها أن يُقدّم لها أضعاف ما يبذل لغيرها من سائر الدعوات ٢٠١
- ٢- تعظيم حرمة التعاليم الإسلامية في قلوب المسلمين ، حيث يجد ٢٠١
- المسلم من البدائل المتنوعة ما يصرفه عن ارتكاب المحرمات ١٠٢
- ٣- إشباع حاجة الفرد المسلم الجسمية والروحية ، إذ إن إيجاد البدائل ٢٠٣
- الناجحة في مختلف المجالات : تساعد على راحتهم النفسية واستقرارها ٢٠٣
- ٤- تنمية مهارات الأفراد والمؤسسات ، فينتج عن الاهتمام بأسلوب إيجاد ٢٠٤
- البدائل : تنمية مهارات الأفراد والمجتمعات ٢٠٤
- ٥- تنشيط الحركة الدعوية والاقتصادية ، كما ينتج عن الاهتمام بألـوب ٢٠٥
- إيجاد البدائل تنشيط للأحزاب والجماعات الإسلامية ٢٠٥
- ٦- الحفاظ على الترابط بين المجتمعات الإسلامية ، كما ينتج عن ذلك إقامة ٢٠٦
- جسر لتبادل الخبرات بين المجتمعات ، والاستفادة من تجارب الآخرين ٢٠٦
- ٧- الشعور بأهمية دور المسلم في الحياة ، وبناء الشخصية المعترزة بدينها ٢٠٦
- الفصل الرابع : معالم وضوابط إيجاد البديل ٢٠٩
- توطئة ٢١١
- ١- أن يكون البديل ملتزماً بالضوابط الشرعية ، مراعيّاً للعادات ٢١١
- الاجتماعية والأخلاق الإسلامية ، قريباً ومنسجماً مع الواقع الذي نعيشه ٢١١
- ٢- ألا يقتصر أو يختص بجنس دون الآخر ، بل يجب الاهتمام بكلا ٢١٢
- الجنسين ، كما لا يصح أن تغفل المراحل العمرية لكل جنس ٢١٢

- ٣- أن يكون القائم بهذا المشروع أهلاً للقيام بهذه المهمة ، يجمع بين سعة الأفق واستنارة الفكر وعمق الفهم لواقع أمته ٢١٣
- ٤- أن يبنى على موازنة دقيقة بين المفسد والمصالح ، فلا يصح أن يترتب على إيجاد البديل الوقوع في محرم آخر ، أو يجزأ على المسلمين ضرراً أكبر أو مفسدة أعظم ٢١٥
- ٥- أن يعمل على تعميمه ليشمل جميع جوانب الحياة التي يحتاج إليها المسلم ٢١٦
- ٦- ألا يكون البديل شعاراً لغير المسلمين ، ولا يعني هذا عدم الاستفادة من خبراتهم ٢١٦
- ٧- أن يكون البديل قويا بحيث يكون قادراً على صرف الناس عن المحرم . ٢١٨
- ٨- أن يساعد على إيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة ٢١٨
- ٩- أن يحافظ فيه على الثوابت الشرعية ، ويتمشى مع المتغيرات العصرية ٢١٩
- ١٠- أن يراعى فيه مبدأ ترتيب الأولويات ٢٢٠
- ١١- أن يشمل أسلوب إيجاد البدائل الأمور الضرورية ، والحاجية والتحسينية ٢٢٢
- ١٢- أن يسبق العمل على إيجاد البديل دراسة متأنية فاحصة واعية ٢٢٣
- ١٣- عدم إغفال جانب التربية الإيمانية ، والتنشئة على الأخذ بالعزائم واجتناب المكروهات والمحرمات ٢٢٤
- ١٤- رصد ومراقبة نجاح البديل ومدى فاعليته وآثاره ، ولا يصح أن يكون إصدار الحكم على البديل من فرد ، بل لابد أن يحكم على صلاحه وفساده جماعة مختصة ٢٢٥

٢٢٦	١٥- التفريق في أسلوب إيجاد البديل بين المنكرات الكبرى والقضايا العامة ، وبين المنكرات الصغرى والقضايا الخاصة
٢٢٨	الخاتمة : سرد فيها الباحث الأبواب والفصول ثم توصيات تتعلق بموضوع البحث ، وتعالج بعض جوانبه العملية
٢٣٣	الفهارس
٢٣٥	فهرس الآيات القرآنية
٢٤١	فهرس الأحاديث النبوية
٢٤٧	فهرس الأعلام
١٥٦	فهرس الأماكن
٢٥٧	فهرس المراجع
٢٦٤	فهرس الموضوعات

* * * *



د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني

- دكتوراه في تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية .
- ماجستير في تخصص الدعوة .
- يعمل في المركز العالمي للوسطية بدولة الكويت .
- باحث في الدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف .
- عمل مشرفاً تربوياً وأستاذاً لمادة التربية الإسلامية في المدارس الثانوية اللغة .
- عمل مشرفاً إعلامياً بوزارة أوقاف دولة قطر .
- عمل مدققاً على الموقع الإلكتروني لوزارة أوقاف دولة قطر .
- قام بإلقاء العديد من الدورات العلمية في موضوع الدعوة .
- شارك في بعض المؤتمرات داخل الكويت وخارجها .
- عضو في اللجنة الإدارية العليا لشبكة نعيم العربية .
- مؤلف كتاب البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية .

s@www.net

هذا الكتاب

- يتناول أسلوباً من أهم أساليب الدعوة إلى الله عزوجل وهو إيجاد البدائل المشروعة .
- يبرز أهمية أسلوب إيجاد البدائل في إصلاح المجتمعات والشعوب .
- يؤصل موضوع البدائل المشروعة من خلال الحديث عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في طرح البديل الصالح .
- يعتمد سيرة الخلفاء الراشدين ووقائع الدعاة والمصلحين مصدراً من مصادر الدعوة إلى الله عزوجل .
- يلقي الضوء على بعض تجارب الدعاة واستخداماتهم لأسلوب إيجاد البديل الناجح في مختلف المجالات .
- يبين الآثار الإيجابية الناتجة عن الاهتمام بهذا الأسلوب والآثار السلبية لإهماله وضعفه .
- يضع ضوابط تضمن نجاحه ، وتوجه مساره ، ومعالم تحدد اتجاهه ، وتبعده عن الوقوع في الخطأ .

الناشر

اقرأ

دار اقرأ للنشر والتوزيع

الكويت : حولي - شارع المنني - ص . ب ١٩٣٧ حولي - الرمز البريدي ، 32020

هاتف : ٢٦٥٥٣٤٠ - ٢٦٥٥٣٥٠ - فاكس : ٢٦٥٥٣٥٠ - نقال ، ٧٥٧٩٢٧١

القاهرة : مدينة نصر - أمام أرض المعارض الدولية - عمارات امتداد رمسيس (٢)
عمارة (١٦٨) شقة (٢)

تليفون : ٢٠٢٢٢٦٦٠٥٦٣ - فاكس : ٢٠٢٢٢٦٦١٨٧١ - محمول ، ٢٠١٠٥٣٢٧٦٧

email: dariqraa@hotmail.com - email: dariqra@yahoo.com
website: www.dar_iqraa.tk